

ANCORA IMPARO



الفُيُورُ

التي لا تلهو

اغسطس ١٩٢٩ اعرف نفسك بنفسك: فيثاغورس مجلد ٥ العدد ٢٤

مطالعات

ARCHIVE في سفر الخروج

<http://Archiveonline.sakhril.com>

في مقالنا الاول « مطالعات في سفر التكوين » الذي نشر في العدد الماضي ؛ استطعنا أن نستورد عدة وقائع ينص عليها سفر التكوين في خروج ابراهيم من أور الكلدان ، وفي وزارة الصديق يوسف في مصر . غير أنه فائنا أن نمضي في مقارنة علمية نوازن فيها بين ما ذكر في سفر التكوين وما ذكر في القرآن خاصاً بابراهيم . فقد ذهبنا مذهب القرآن في أن ابراهيم لم يغادر أور الكلدان هو وأبوه وابن أخيه لوطاً وبقية من كان معهم من الزوجات والاقارب الا لفكرة في التوحيد اعتنقها ابراهيم وبشر بها في أرض ما عرف أهلها الا التكثير . ولقد روى القرآن في ذلك رواية ابراهيم كاملة ونص على أشياء يستدل منها على

عشر سنين ثم قفل راجعاً الى مصر ، لينزل الأرض التي يسكنها أهل
في جاسان . ولما توسط البرية وكان البرد شديداً « قال لأهله امكثوا
انى آتيت نادى على آتيكم منها بقبس او اجد على النار هدى » . — وهنالك
نزل عليه الوحي بأن يذهب الى فرعون ليخلص من يده أبناء اسرائيل
وكان بعد ذلك ما كان من خروجه من مصر بأبناء اسرائيل



إن كل ما نريد من بحثنا هذا أن تثبت :
أولاً — أن يوسف كان وزيراً لملك هكسوس
ثانياً — أنه لعب دور المصلح الاجتماعى ليعلم الهكسوس
ثالثاً — أنه شهد بدء الحرب الاستقلالية كما شهد أواخرها
رابعاً — أن الاستبداد بالعبانيين لم يحدث إلا بعد طرد الهكسوس
من مصر

خامساً — أن موسى لعب دور البطل السياسى لابساً ثوب القداسة
الذى لبسه آبائهم منذ أبعد العصور .

اسماعيل مظهر

قَصُّ نِزَاطِفَانِ

بِمِثْلَم
كامل كَيْسَلَانِي

أسلوب جديد في التربية — به أكثر من ٣٥ صورة مشوقة ثمنه ٢ قروش تطلب
من جميع المكتبات المشهورة ومن عباس افندي عبدالرحمن بإشراف خيرت بالقاهرة

شعر الصير

الصير في زوجته

Le Banquier et sa Femme

الرسم لمنسجس (١٤٦٦ م. - ١٥٣٠ م.) وهو من روائع متحف اللوفر



للصير إذا غممن نظرة
هي روحه مبثوثة في ماله
تجد الحلي أمامه أحلامه
وما لها متعلق بماله
فاذا البقاء لها شغوره
وإذا الضياع لها قرين زواله
وكأنما الإيمان أكسب وجهه
طولا، وكان التبر لون خياله
يتأمل المال العزيز كأنه
يتلو عبادة مؤمن أو واليه
ويكاد يحسب في الامالة مستجبا
كالذهن - بعد تأمل - لنواله
هو كل دنياه وأخراه معاً
وجمال زوجته وأنس عياله
نظرت إليه وأمسكت عن نظرة
بكتابها، واستمتعت بمقاله^(١)
وكانها قد زوجت من ماله
وخصلها مقرونة بخصاله
وتوحدت بالمال حتى أصبحت
مكئين في التكيف من أمثاله

ماذا تضيرها مَبَاءَةٌ عَزَلَةٌ
 عَرَفَا الحَيَاةَ تَفَانِيًا فَتَفَانِيًا
 واستغنيا بضياؤه عن كِسْمَةٍ
 وترى الجمود قسا حيا لها ، وما
 في حين أنك في ولوعك قانعاً
 ما كنت أسعدَ منهما في مَيْتَةٍ
 وهما اللذان نَسَمًا بِجَاهٍ ؟
 بوجوده ، واستمعاً بِجَلَالِهِ
 للحُبِّ ، وافقَتَنمَا بِصدقٍ خِلالِهِ
 تَدْرِي سِوَاهُ يَالَهَا وَيَالَهُ
 بالفكرِ أَوْ بالفنِّ أَوْ « بِمِثَالِهِ »
 المَالُ حَوَّلَهَا مَدَى آجَالِهِ

أبرشادي



في (سَيبويه) إمام النحورِ تَذَكُّرَةٌ
 قد كان أوَّلَ بَانٍ ، هَمْ مَابَرِحَتْ
 فاز (الكسائي) عليه مِنْ مَغَالِطَةٍ
 والدَّهْرُ أَعْدَلُ قَاضٍ بَعْدَ مَا خَرِسَتْ
 لليائسين وَمَنْ جُنُّوا بِتَقْدِيرِ
 صُرُوحِهِ خُلُودٍ قَبْلَ تَعْمِيرِ
 تخاب في حُكْمِ عِرْفَانٍ وَتَفَكُّيرِ
 لَسُنُّ الأَبَاطِيلِ مِنْ بَأْسِ الدَّنَانِيرِ

أبرشادي

على السيف



عباس محمود العقاد

- ٢ -

قلنا إن هذا العقاد لص من أخيث لصوص الأدب لأنه مع هذه اللصوصية يدعي دائماً ملكية ما يسرقه ، ومع هذه الوقاحة في الادعاء يحقد على كل من يملك شيئاً من مواهب الله ، ومع هذا الحقد البدني لا يتصور الناس إلا على أمثلة من نفسه . ولعله لا يعقل أن في أحد من خلق الله دماً شريفاً أو عرقاً سامياً ، أو أخلاقاً نبيلة من أجل ذلك لا يعرفه عارفوه إلا أعشى الأخلاق ، كل ضدين عنده هما ضدان باسم واحد أو شيء واحد باسمين مختلفين كما يقول هو في بعض تخليطاته . فقد رأينا له اليوم في

مجلة ، الجديد ، مقالاً عنوانه ، ربة الجمال بلايين ، لم نكد نقرأ أوله حتى ضحكنا من
جهل هذا الدعي العاوي فهو يقول :

« كان هينى الشاعر الألماني يعبد الجمال ويعشق كل جميل . وكان من عبادته فى
جحيم ، أو قل فى نعيم !!! »

خذا بطن ، هرشى ، أو قفاها فانما كلا جانبي ، هرشى ، لهن طريق
فان الجحيم والنعيم فى عبادة الجمال شئ واحد باسمين مختلفين ، كما ان هرشى ، طريق واحد من
حيث أخذتها (١) وثق أنك اذا قلت النعيم وانت تعنى الجحيم ، أو قلت
الجحيم وانت تعنى النعيم فلا لوم عليك ولا مخالفة للحقيقة !!! لأن جحيم الجمال
ونعيمه كما قلنا شئ واحد . . . ولأنهما داران موضوعان على رسم واحد !!! وفى
سعة واحدة !!! لا فرق بينهما داخلًا ولا خارجًا !!! الا اللوحة التى على الباب الله .

عند هذا الحد ألقينا المقالة واكتفينا من خلط الرجل بالكلمات الأولى باذ لو بقى
المعتوه يتكلم من طلوع الشمس الى غروبها لكن كل كلامه ، باسم واحد ، طبعاً .
وقد نهتاه هذه الكلمات الى الاصل الذى فى نفس العقاد مما يجعل الاشياء كلها شيئاً
واحداً فى اعتباره لا على مذهب وحدة الوجود ، فهو أبعد الناس عن فهم هذا المذهب
وان ادعاء ، لان فهمه لا يكون الا بأنوار البصيرة وبإدراك التجلى الأقدس : يعنى لا
يمكن فهم هذا المذهب الا بعد أن يتصفى الإنسان من الرذائل كلها ويدرك بنور نفسه
معنى النور الذى انبثقت منه نفسه . والعقاد كله رذائل وظلمات .

واذا كان هذا الرجل يعتبر الاشياء كلها شيئاً واحداً — لا على مذهب وحدة الوجود
فملى أى مذهب إذن ؟ الجواب : على مذهب وحدة غريزته هو . لانه لو صح مايقال
إنه ابن تسعة أشهر فقد وغيظ فالفضائل والرذائل وكل ضدتين مختلفين لا فرق
بينهما الا الاسم ، وفى لغته هو — الا اللوحة ، !!!
وقبل أن نتقل من بيان هذا الاصل نحمل الكلمات القليلة التى قلناها عنه ليعرف
القراء أنه لا يفهم ولا يكتب الا خطأ .

(١) ذكر هنا حكاية البدوى الذى تمثّل بهذا البيت فى حضرة عمر بن عبد العزيز فتركناه

إذا كان هينى يعبد الجمال فهل يعبد . إلا لأنه يعشق كل جميل ؟ إذن فباق الجملة
حشو جرائد . . وكان من عبادته فى جحيم أو قل فى نعيم . . ان . أو . لائى إلا لأحد
الشيئين . وهو يريد هنا الشيئين معاً جحيماً ونعياً ، فلا معنى لاستعمالها وإنما يتبع فى هذا
التعبير صغار المترجمين الذين يشتغلون بالترجمة الحرفية

ويقول كما أن . هرشى طريق واحد من حيثأ أخذتها ، فهرشى باحضرة العبرى !!
ليست طريقاً ولا معنى البيت يدل على ذلك ولا هنا . بطن (١) ، كما تقول ، وإنما
تقل قلاً عاماً وتقدم فيها عاماً وليس فيك من العربية إلا كاتب جرائد لا غير .
أصل البيت . خذا جنب هرشى ، الخ وفى رواية خذى أنف هرشى أو خذا أنف
هرشى الخ وهى ثنية أو عضبة لها طريقان ينتهى اليها من كليهما فن سلكهما كان
مصبأ . إذن هى ليست . طريقاً واحداً من حيثأ أخذتها ، با عقاد .
والمعجائب كلها فى باقى العبارة وهى أحطار قليلة ولكنها تدل على ذهن جبار ،
جبار ، جبار !!

وأنا مرة قى يريد أن يظهر مظهر رجل مقتول العضل فخشا كيه وصداره
(شراميط) !! عضلات بارزة مكشورة ، لكنها عضلات من شراميط !!
هكذا من يظن العقاد جبار الذهن ، والحقيقة أن الرجل جبار الغريزة منذ كان
دودة إلى أن كان جنيناً إلى أن كان انساناً فيختلط الأمر فى وقاحته وادعائه وسلطته
على الضعفاء أو على الجبناء . ولكن الذى يعرف العضلات التى تخلع مع الثياب !! .
يصفع صاحبها الجبار مطمئناً ، لأنها عضلات من شراميط .

طيب !! . جحيم الجمال ونعيمه شئ . واحد . فما معنى . لأنهما داران موضوعتان على
رسم واحد . وهل داران على رسم واحد تكونان شيئاً واحداً وتأخذ الحكومة
عليهما عوائد واحدة !! يا أصحاب الأملاك وكلوا هذا المحامى الجبار الذهن ليقيم
الحكومة بهذه الفلسفة !!

(١) إذا كانت عضبة أو ثنية أى أرضاً مرتفعة فكيف يكون لها بطن ؟ ولكنه
وجدنا محرفة بمسوخة فنقل من غير تمييز كماداته وحكاية البدوى التى نقلها بمسوخة
أيضاً وأصلها الصحيح فى معجم باقوت .

وإذا كانا دارين فلا معنى لأن يقول الجحيم والنعيم ، لأن النعيم هذه من تعبيرات العامة وإنما تأتي مضافا إليها فيقال جنة النعيم ودار النعيم بخلاف الجحيم فإنها هي الدار . ثم الداران في سعة واحدة بعد أن قال حضرته أنهما على رسم واحد . العقاد إذن مهندس من اشتغلوا في الجحيم والنعيم ومساح أيضاً موظف في ديوان المساحة الذي وراء الطبيعة III وأكثر من ذلك يظهر أن هذا الصعلوك من كبار أرباب الأملاك السماوية فأراد مرة أن يشتري الجحيم والنعيم فتفرج عليهما فإذا هما لا فرق بينهما داخلاً ولا خارجاً إلا اللوحة التي على الباب .

طبعاً طبعاً هذه اللوحة كان مكتوباً عليها : جحيم ونعيم للبيع III لا لا ايل هي كما يظهر من معنى كلام الجبار لوحة من الرخام كتب عليها دار الجحيم . دار النعيم III وإذا كان هناك باب ، عليه ، اللوحة ، فكيف صارتا دارين ؟ كان ينبغي أن يكون هناك بابان عليهما لوحتان ولكن يظهر أن العقاد رفع دعوى يطلب الحكم فيها بسد أحد البابين لأنه يفتح على ملكه الخاص فحكم بسده وإنزال اللوحة التي كانت عليه وجبئذ صارتا دارين بباب واحد .

أفترنا أيها القراء : أهذا جبار الذهن ؟ أهذا كاتب ؟ أهذا أديب ؟ أهذا فيهم بيان العربية ؟ أم هي صنعة جرائد تم مغفلون من الكتاب لمغفلين من القراء ؟

وتظاهر العقاد باحتقار الأدباء — مع أنه في نفسه يغلي حقدا وحسدا — طريقة مسروقة يقلد فيها الكاتب الانجليزي الشهير « برنارد شو » ، الذي يقول أنه لا يجد عقلا يستحق احتقاره إلا عقل شكسبير III

ولكن انظر الفرق بين الأصلي والتقليد . « برنارد شو » ، يحقر النواجع من جهة عقليته فلا يحسد ، والعقاد من جهة نفسه فلا يعقل ، والأول يضع الآراء وينكرها ، والثاني يسرق ويدعي ، وذلك يحقر احتقارا ساميا أساسه النظر في هذا دنيء دنيء . أساسه الحسد ولؤم الطبع ، والعامية الثقيلة الآتية من الشوارع تلك التي توهم أهلها أن الأسمى لابد أن يحقر الأدنى ، فإذا تظاهر العاصي الوضع باحتقار رجل شريف أو نابه كان ذلك في منطق دليلاً مقنعاً للناس أنه هو الأسمى والأشرف والأعظم III

والعقاد لص حتى في الصفات .

ومع ان برنارد شو ذكي نابغة فقد خرجوا من قده وتحليله بأنه كالخدوع المغرور أو خدوع مغرور على الحقيقة يمتاز بنقائص وعيوب اختص بعضها وشارك الناس في بعضها ، وان ثقتة بنفسه تفقد الناس الثقة به فقد يعتقد أنه جاء بالكلمة الأخيرة في الموضوع الذي يعالجه في حين ان النقاد يكونون مقتنعين بأنه لم يفهم قط، وينتهي من ذلك الى أسخف الآراء وأبعد ما في الخطأ مكلنا ، بحيث يرجع أحيانا من شدة سوء الذي يتوهم وليس فيه الا رجل عالمي سطحي ضعيف .

هذا في برنارد شو الذي ولدته أمه برنارد شو، فكيف الحال في لص مقلديه وبين شو مثل ما بين اسوان ولندن ؟

ولكن لو سألت العقاد في هذا لما كان شيء أسهل عليه من الجواب ، فإنه يقول ان اسوان ولندن شيء واحد ، لا فرق الا اللوحة ، وبرنارد والعقاد شيء واحد لا فرق الا ... والله ما انا عارف الا إياه ... قول الا إياه بالعقاد ؟

وما دعنا في بيان سوء فهم هذا المغرور فنقول ان بعض الأدباء سألنا عن رأى نشره العقاد في مجلته الجديدة ، يعطى فيه ميل ابن الرومي إلى الهجاء ، وإفدائه فيه وإغشائه في السب وذلك حيث يقول العقاد في تلك المقالة : « فالرجل (ابن الرومي) لم يكن شريراً ولا رديء النفس (خذ بالك من ردىء النفس) فلماذا إذن كثر هجاؤه واشتد وقوعه في أعراض المهجورين ؟ نظن أنه كان كذلك لانه كان طيب السريرة » انتهى بحروفه .

قول إن صح هذا صح مذهب التاسخ ويكون ابن الرومي قديماً هو هو عباس محمود العقاد اليوم ، جاء كما كان من قبل تماماً !!! جباراً عند نفسه وقحاً عند الناس .

يقول العقاد « كان ابن الرومي هجاءً مقنعاً في الهجاء وكان لأهاجيه أثر كبير في حياته وفي شهرته (تأمل) ، والواقع أن ابن الرومي لم يدم أحداً من التابهين في زمانه إلا هجاءً أو أنذر هجائه . هل كان ابن الرومي شريراً لانه كان كثير الهجاء ؟ لا . بل هو لو كان شريراً لما اضطر الى كل هذا الهجاء . ولو كان أكبر شراً لكان أقل هجاءً .

لأبناء عصره . ما كان هجاءه يشف عن الكيد والنكابة كما كان يشف عن الحرج والتبرم . هذا كلام جبار الذهن المضحك وقد وقفنا من نقله عند كلمة الحرج لأنها أذكرتنا ما حدثنا به بعضهم من أنه لام العقاد يوما على حقده وكله في أن هذا عجز منه وضعف ، لأنه لو كان قويا لنازل وصارع وأعطى كل ذي حق حقه ، فإن القوة تعجب بالقوة وتقر لما هو أقوى . وقاله إن المتلاكين أو المتصارعين يتصالحان على الحلقة ثم يتلاكان ، وقد يقع أحدهما ثم يعودان صديقين لأنها في قانون القوة الإنسانية لا الوحشية . فقال العقاد : أنا طيب السريرة ولكن الناس يخرجوني أحيانا . كل كلام الرجل عن ابن الرومي هو من كلامه عن نفسه لذلك الأديب ، فلزم ابن الرومي وسبابه وافحاشته وبذاءته وهجاءه كل من مدحهم ووقعه في الأعراض ، كل ذلك لأنه طيب السريرة !!!

تعالوا يا علماء الاخلاق والآداب فخذوا هذا الاكتشاف الجديد عن جبار الذهن الذي لا يعرف ما هو الهجاء في الشعر العربي ولما هو تاريخه ، وأصلحو لغات العالم كلها في تحديد معنى السفاهة والبذاءة وفحش القول ولعن أعراض الناس ، فقولوا إن كل ذلك معناه طيب السريرة !! على ما حققه جبار الذهن المسمى عباس العقاد !!

لقد سمعنا هذا الهذيان من هذا السخيف ولكن أخطر التركيب العربي في كلامه نعرف أنه هو لا يفهم ما يكتبه وله من مثل هذا كثير جداً . يقول ان ابن الرومي لم يكن شريرا لأنه كان كثير الهجاء . ثم يقول لو كان شريرا لما اضطر إلى مثل كل هذا الهجاء . والمعنى في العبارتين ان كثرة الهجاء دليل قاطع في نفى الشر عن الرجل . ثم يقول «لو كان أكبر شرا لكان أقل هجاء» وهذه العبارة قاطعة في أن ابن الرومي كان شريرا لان أقل التفضيل (أكبر) لا يذكر في الكلام إلا لتحقيق الزيادة في صفة يشترك فيها شيان ويزيد أحدهما فيها على الآخر . فالمعنى بهذا التركيب ان ابن الرومي شرير ، ولكنه قليل الشر لأنه كثير الهجاء !!! ولو كان أكبر شرا لكان أقل هجاء .

اذن فالعبارتان السابقتان لغو لا معنى لهما الاثرثرة جرائد ساقطة لا تميز الصحيح من الفاسد ، وهما دليلان لا دليل واحد على ان العقاد كاتب ، كالعالمى قارئنا

وفي هذا المقال الذي سأناغته الأديب بقصر (جبار الذهن) يتتالى الرومي هو قوله :

لا يفضي لعمره من له خطر فليس يرضى بظلمي من له خطر

قال (جبار الذهن) : كأنه يقول لقد صبرت على عمرو فرضى الناس بظلمه لئلا

عاقبوا عمره أنا الآن فما يحق لذي خطر أن يفتضيه له وهو منصف بيني وبينه (١)

ماذا فهمت أيها القاريء من (جبار الذهن) في تفسيره ؟ أين صبر ابن الرومي

على عمرو في هذا البيت الذي ترتب عليه رضا الناس بظلم عمرو لابن الرومي ؟ ثم معنى

ترتيب رضا الناس على صبر الشاعر - بدليل استعمال الفاء في قوله فرضى الناس - يفهم

منه بدلالة القوم أنه لو لم يصبر ابن الرومي لفتضيه الناس على عمرو ولم يرضوا بظلمه

لشاعر ، فإذا كان كذلك فلماذا صبر ابن الرومي وهو يملك هذا السلاح المالح ، سلاح

الرأي العام الذي أنعم الله عليه به بعد موته 111 بأكثر من ألف سنة على يد جبار الذهن ؟

صبر ابن الرومي على الظلم فرضيه الناس له ، فإذا تعد صبره الآن وهجا عمرًا فلا

يحق للناس أن يفتضوا عمرو **إذا كانوا متصفين** . هذا هو وجه العبارة لو كان العقاد

يحسن الكتابة . ولكنه خلط بعمل الناس يرمون جملة بالظلم ثم لا يفتضونهم حين

الفتض ، إلا ذو خطر ، وجعل ذا الخطر هو الذي يفتض ويحده حين قصر عليه الجملة

الحالية . وهذا من تتبع الرجل وتعبه على القراء ليوافق كلامه الفاظ البيت ، إذ لو قال

ورضى الناس ولا يحق للناس أن يفتضوا لعمرو لفتض لعمرو لأن الشاعر نفسه لا يريد

بالناس بل من له خطر منهم .

ويبقى أنه يلزم من تفسير العقاد أن الناس في عصر ابن الرومي كانوا على هذا

الشأن فيما بينه وبين عمرو فقط وأهملوا أمره مع كل من هجاهم وكل من ظلموه وكل

من صبر عليهم . وهذا (فتح جديد) في التاريخ ويجب أن يضاف إلى اكتشافات العقاد

ولعله كان كذلك لأنه عمرو بن أم عمرو والذي قال فيه الشاعر

إذا ذهب الحمار بأم عمرو فلا رجعت ولا رجع الحمار

نحن على يقين أن هذا العقاد ضعيف الفهم وهو يهرب دائماً من التفسير في الآداب

العربية لهذه العلة ، فإن وقع مرة وقع على أم رأسه كما ترى في هذا البيت . ومع أن الكتب

الأوربية التي تغير عليها كثيرة الشروح والتعاليق والنقد ، فله سخافات في فهم الآراء الدقيقة منها كما سبقين ذلك ، وما غطى عليه إلا أنه دائماً يسرق ويتحل ولا يبين الأصل الأقرنحي الذي يثار عليه .

==

معنى بيت ابن الرومي هو هذا : أن عمراً ذليل لا خطر له ولا شأن ، ولذلك لا يغضب له من له شأن وبهاة ، فإن من كان بهذا الوصف لا يرضى بظلي لمنزلي عند ذوى الخطر ، وإنما يرضى بظلي السفلة وأمثالهم من الخشوة والطعام الذين لا يدركون قبة الشعر وشاعره وليس لهم أعراض ولا مناصب يخافون عليها المحاد على حد القول المشهور :

أذهب فأنت ظلي عرضك إنه عرضي عززت به وأنت ذليل
وقل تار يخ الأدب العرف في باب الهجاء فاطق أنه لا يخاف الهجاء ولا يتحاما
إلا ذو خطر ، من عرضي ونسب رجاء الخ .

هذا على اعتبار أن ولا في قوله (لا يتضبن) نافية فإذا كانت للنهي كان المعنى فكذلك لا يغضب ذو خطر وشأن لمعرو لأن ذا الخطر يتقني ويخشى فلا يرضى بظلي فلا يغضب لمن ظلي .

وعلى كلا الوجهين فأساس البيت هو أن عمرو وعلى الناس وفخر ابن الرومي بصوته وخشية ذوى الأحساب والجاه من لسانه وهجائه .

نحب الآن أن نعرف من هو أجهل الناس وأجدهم وأندم جناً ؟ فإن صاحب هذه الصفات هو الذي يجرأ على المكابرة بعد هذا البيان أو يقول إن العقاد يفهم الشعر ويغضب لمعرو !!!

==

ونعود إلى نظرة سريعة في شعر جبار الذهن وهذا الجبار أهون علينا من أن نضيع الوقت في قراءة شعره أو كتابته ، إنما سيينا أن نقنع أية الصفحات من ديوانه أو عمدا يكون أماننا من مجلة ، الجديد ، التي يكشف فيها الآن فنانا لثراكم الأعمال لا تقرأ المجلات إلا بعد صدورها يزمن ، ولكتنا تقرأ ما نحب منها على كل حال ومنها مجلة ، الجديد ،

على خلاف ديوان العقاد هذه الكلمة (أربعة أجزاء في مجلد واحد) والديوان ورق لا يساوى ثمن تجليده ولم يخرج منه صاحبه مجلداً فاما معنى (مجلد واحد) وكلمة مجلدة أو مجلد لا تستعمل الا في الكتاب يغشى بالمجلد لأنها من جلد ، أى وضع الجلد عليه . واذا صح ان كل مطبوع يسمى مجلداً جاز حينئذ ان يكون معنى العبارة (أربعة مجلدات في مجلد واحد ١١١) . هذا أيضاً من جهل الجبار لأنه يريد في سفر واحد أو كتاب واحداً أو مجموع واحد .

وبهذه المناسبة رجعت الى أوائل الأجزاء فاذا اسم الجزء الاول يقظة الصباح ، والثاني دهرج الظهيرة ، والثالث ، أشباح الأصيل ، والرابع ، أشجان الليل ، وهذه الأسماء لم تكن من قبل حين طبعت الأجزاء قديماً وإنما لفتت حديثاً في السنة الماضية عند طبعتها ، في مجلد واحد .

حسن جداً وجداً حسن ، ولكن من أين جاء هذا التخليط ؟ يقول جبار الذهن في كلمة الختام ، فاذا قرأ القارىء فرغاً وجد في أشجان الليل ما هو أخلق بدهرج الظهيرة ١١ أو وجد في يقظة الصباح ما هو أخلق بأشباح الأصيل ، ١١١ الجبار إذن يقر بالتخليط ويعترف به لأنه لا يستطيع أن يكابر أن كل نظم هراء في هراء . فاذا كان هذا الخليط واقعاً معترفاً به فما معنى هذه الأسماء ؟

معناها أن العقاد رجل دعوى وتدجيل وغرور ، فيسرق ويدعى الملكية هو يعترف أن الأسماء ليست على مسمايتها ، إذن فهو لم يضعها لأنه لا يخطر لمؤلف أن يضع اسماً على غير مسماه ، إذن فهو قد سرقها وهذا هو الصحيح .

وضع الشاعر الفرنسي الكبير ملكريور دوفوجيه Melcior de Vogué عضو الاكاديمية الفرنسية رواية شعرية سماها (جان داجريف) Jean Agreffe وجعلها أربعة أناشيد لأنها تصف حياة حب بدع من بدته الى منتهاه ، ومن أمه الى خيبته . وسمى النشيد الاول (الفجر) والثاني (الظهر) والثالث (الأصيل) والرابع (الليل) لأن في الاول انبثاق نور الحب والثاني توهجه والثالث تخافته والرابع ظلامه وفناؤه .

أسماء على مسمايتها كما ترى ، وهو في كل شيء يدع في التصوير والقصة والحادثة ولا

يعدو الجسد الذي يفصل بين الاثنين ، بل يمر بالقصة وحوادثها ومعانيها كما تمر الشمس إلى أن تغيب وتظلم الدنيا وتموت الطبيعة في ناحية والنحب في ناحية أخرى .

ومع اعتراف جبار الذهن أن هذه الأوضاع لا تنطبق على سخافات التي سماها « أربعة أجزاء في مجلد واحد » ، فإن طبع اللصوصية المنغرس فيه أبي عليه إلا أن يسرقها ويذهب في تعليلها تدجيلا وتعمية على القراء . وهذا كله صريح في أنه لص مخادع مدع لا يحترم نفسه ولا الناس ولا الحق ولا الحقيقة .

عجبة عجبة . فتفتح الآن صفحة ١١٣ من « لحظة الصباح » !! فإذا نرى : تهته بعيد :
عثمان يا عيد من يحظى بصحبته بلغت ما شئت في الأيام والناس
أولى الأيام يا سعد وتهته من كان كالعيد في بشر وإناس
إذا بلغ الحرص شاعر على أن يثبت في ديوانه مثل هذين البيتين فهل فيه ما شئت
ولا تبال واعلم أنك مصيب في كل ما تقول .

وقوله (يحظى بصحبته) غلط يتابع فيه العامة وبعض كتاب الجرائد المنحطة لأن الخطوة المكانة فنقول حظيت بعد فلان وعظمت المرأة عند زوجها والعامة - ومنهم العقاد - يفتنونها بمعنى تشرف فيقولون حظيا بقله فلان وبصحبه أي تشرفنا ولا معنى لها ، وإنما تجوز بعض المتأخرين فقال حظيت بالمال ، فإن كان جبار الذهن شحاذاً وكان يريد من قوله يحظى بصحبته أي يحظى بماله جاز له هذا الاستعمال .
فأما أن يقر بالخطأ وأما أن يقر بالشحاذة

ومن سخافة ذوقه جبار الذهن ، أنه يدعو على الناس في يوم العيد لأنه يدعو لعثمان أن يبلغه الله ما يشاء فيهم . وماذا يشاء عثمان في الناس ؟ أم يجعلهم عبيدا له أم يأكل أموالهم أم ينكحهم وينتقم منهم ؟ إن العبارة نفسها في هذا التركيب لا يقال إلا في الشرفائك تقول لأنسان بلغك الله ماشئت في أعدائك ولا يمكن أبدا أن تقول بلغك الله ماشئت في أصدقائك وأصحابك إذ لا يشاء (فيهم) ولكن يشاء (لهم) .

ومعنى البيتين مبطل متداول على ألسنة الناس حتى العامة وقد مسح المتشاعر كلام المنبي في تهته سيف الدولة بعيد الأضحي في قوله :

هنيئاً لك العيد الذي أنت عبده وعيد لمن سمى وضحي وعيدا
 فذا اليوم في الأيام مثلك في الوري كما كنت فيهم أوحداً كان أوحداً
 المثنى جعل أميره عيداً للعيد ولأهل العيد، والمثاعر جعل عثمان ١١ عبد من يحظى
 بصحته، والمثنى جعل يوم العيد في تفرد مثل الأمير في كونه أوحداً للناس، والمثاعر
 جعل عثمان (كالعيد) في بشر وإدناس وزمارات ولعب وكحك وغريبة ١١
 من الإهانة للمثنى أن تقول إن العقاد سرقه وإن كان سرقه، ولكننا في كل ما ذكر من سرقات
 هذا المثاعر، الجبار، لا نريد إلا أن يقابل القراء بين الشعر الحقيقي في قوة ومثاقمه
 واحكام ضمته وبين الشعر الزائف المنحط في سخافته وركاكته مع أنه مسروق
 من ذاك الفلاسفة شاعر حقيقي يستحق اسم الشاعر لجاء به على الأقل في طبقة
 الأول أن لم يكن أبدع وأسمى منه،
 فإذا كان جبارنا المضحك يسرق ومع ذلك لا ينجس الأبالسة الذي لا يذكر
 بجانب الأصل فإنه . . فإنه له كسر .

فانه سيف نجار ١١ نقه من زنده تحلات من شراميط

(حاشية) في عدد شهر يوليو الماضي من العصور مقال عن رأيتين المفهوم، بين
 صاحب مخططات كاتب لم يذكر اسمه فهذا الكاتب هو جبارنا حامل السيف الخشب .

الشوق إلى الكلى
 للدكتور أبي شادي
 شعر، ونقد، وأدب عام
 يقع هذا الديوان العصري المأخوذ ١٣٢٦ صفحة جامعت
 لنا قصائد والمقطوعات المتنوعة. وهو مطبوع بالشكل
 الفرج طبع ومزود ببطاظة من الصور والدراسات القيمة،
 ومجملتها الخواص تجليداً نفيساً. ويطلب من المطبعة السلفية
 بالظاهر، ومن جميع الكواكب الشهيرة في مصر والعالم العربي، ومن مكتبة
 نور الدين . . .

جَيطَانُ بَشْتَوَر

عند أمير الشعراء بأن ينشر كتابه "جَيطَانُ بَشْتَوَر" على صفحات
المصور اختصاصاً بهذا الفضل قبل أن يخرج الناس في صورة كتاب .
ومن بعداً ينشر هذه القطعة الخالدة من الأدب المصري . وراجع أن
يتم طبع الكتاب في أقرب حين . ليكون في متناول الأدباء في أنحاء
العالم العربي . فيصبح للأدب مثلاً . والمعلم مورداً . وتصلب مثلاً .
والوشية سواداً أعلى .

الحادثة الأولى

حكى المحدث مني . الأنباء . وشيطان بعض الشعراء . قال أكثر مخالطة الناس
حتى ندمت . وأظلت النظر في الكتب حتى شئت . واشتقت إلى عبرة مرموقة مرموقة .
وحكمة من نفسها مسوقة . آخذها ولو من مسوقة . لا مطروقة ولا مسروقة . فخرجت
إلى الأهرام في وقت من أوقات الوحشية . ويوم من أيام الغتارة . ذهب نهاره إلا
بواخره . وتناوب على الجرح صاحبه وما طره .

تعرض الغيم فيه . للشمس في كل ملك
تروغ منك قنبر . وتغشى حين يبرك
والأفق منه ومنها . كالطفل يكي ويضحك

فلنتفضأها وإذا ذهب الأصل عليه زهر آوثة . ويبدأ بالغيم آوثة . والشمس
صفراء في الأفق منكسرة الأشعة . قد كادت ولما تفعل . كأنها عين الأشقر الأحول .
فوثبت إلى الحرم الأكبر . وحططت فوق حجر . ثم نقصت النظر . فكانت قاعة
العبر . وبأكورة العظمت الكبير . أن وأيت السياح حوالى الأثر . يرتعون في الأصل
ويطعون . ويتزلون عن الأبل ويركبون . وقد ضفت عليهم ثياب الكبرياء . وجرروا
ذيول الزهو والخيلا . فتضبت من رؤيتهم على هذه الصورة . وعشيم في القبور
بعد عشيم بالجثث المقبورة : قتلت

وأيتها الحجارة الخالدة : اسخرى من هؤلاء كما سخرت من قبور وخيلة . واستهزئ
بهم كما استهزأت بتابلين وجنوده .

ثم خرجت من الغضب فأبصرت عتالفت ما كنت أنكرت . وما زال الغضب
يضي صاحبه . ويضل رآكه . ويريه صدور الأمر ولا يريه عواقبه . ابصرت قرأيت

«بغادى والرائح ، والترجمان بجانب السائح ، ولم أر من ياك ولا نائح ، ولا مبيب بالجندل
والصائح ، بحية صدى من جانب القبر صائح . فرجعت في أمر القوم إلى الرضى وقلت : أنما
يزورون قبور الفراعنة في مصر ، كما تزار قصور الملوك في هذا العصر ، وذكرت ساعة
قضيتها في قصر (وندسور) منذ سنين ، والملكة يومئذ في الحياة لا تخرج الشمس عن
طرفي ملككم ، كأنها حاشيتنا النهار ، فدخلت المقاصير وتقطعت في الحجر ، ورأيت فراش
الملكة وقد هجرته ، كما ينظر هؤلاء إلى مرافق الفراعنة ، وقد نقل عافيتها إلى دور التحف
وحيل بين ذلك اللؤلؤ وهذا الصدف . فرحم الله المصريين القدماء ، لولا هم ما ذكر مصر
الناكرون ، ولا ظلت كعبة يزورها الزائرون .

مضوا والدور باقية وأودوا وليس شخوصهم بالمودبات
فما ذهبوا ولكن في اغتراب وما ماتوا ولكن في سبات
(قال) ثم وقعت أنامل قبور الملوك العظام ، وأذكر عيث الأنام لا الأيام ،
وانحجب للأهرام ، وهي من عمل الأسرة الرابعة وبيان المصري في أول عهده بالحياة ،
وبداية دخوله في الحضارة ، كيف رسمت في الأرض رسوخه في العلم ، ووقفت للدهر
وقوفه في الفن ، وكلما تأملتها جزتني العبرة عن النظرة ، والعظة عن اللحظة ، فرأيت
النعم كيف يزول ، والمحال كيف يحول ، والندبة كيف تدول ، والملك الكبير اليوم
يثول ، وبعث الموقف مني قهقري :

لما رأيت قبورهم كنت قفا فيها لناقد
وكأنها نهد الشرى وكأنه مذكان ناهد
بليت رواسيه ولم تبل العظام ولا المراقد
وهوت حواشيها إليها كل والكنائس والمساجد
دخلت عمالك وانطوت دول زواهر كالقراقد
أجنت أن المرء بمعدال حسوت بالآثار خالد

وأدعت النظر إلى الأهرام لا لعظم في الجرم وفخامة في البيان ، ورسوخ في
الأرض وطول زمان ، فإن استعظام رؤية الأجرام من خلالت الصياف ، لكن كرامة
أرى فيها قدماء المصريين كما هم في الأعصر الأول ولما لم يكتملوا دولا أربع ، فلا أرى
الاصورا واضحة وأشباحا قديمة ، ثم أنظر فيها المصريين الأحياء ، وكأنما أنا ملهم في

مرآة محدبة مقعرة ، صور ممدوخة ، وأشباح معوجة ، وأعضاء كمنحط الاصلاح .
 من ضياع التناسب ، وما اختلف الزجاج لكن هي الاخلاق ، تحسن وتقيح ، وتعلل
 وتسفل وتقوم وتعوج ، وترتك من قوم عالاتريك من آخرين . ما أبعد ما بين الاصل
 والفرع ، وثمان ما بين الوالد والمولود . ذلك قبيل شادوساد ، وأجار من البلى الاجساد .
 ونشر سلطانة على البلاد والعباد ، وأخذ لآثاره من بعده ميثاقا من الآباد . حياته للموت
 وموته للحياة ، يعمل للذكر ويهيئ للاحاديث ، ويترك للابناء . ويعلم أن السير حياة ثانية
 في هذه الدار الفانية ، وأن ليس الموت إلا سفراً من الاسفار ، ونقطة من دار إلى دار
 ولا يستوى ناه يعطل ذكره وآخر مذكور بكل لسان

ونحن معشر الابناء فيما نزعهم ، وفرارى المصريين القدماء فيما تنوهم ، أمة نيام
 لا تعرف الملك إلا في الاحلام ، كأننا ولاية العمود ، شايوا وآباءهم قيام ، يومنا يوم
 العاجزين ، وغدا غدا اليائسين ، وأمسنا لا للدنيا ولا للدين . معنى الحياة عندنا شيء .
 باطل ، وطرفاها نعيم زائل ، وما هيها أيام قلائل . لا تدخر صالحات ولا باقيات ،
 ولا ترجو علوا في حياة ولا عمات ، يترك أحفادنا لولده من وجدده ، ولا يترك
 لهم من بعده .

قال الهدهد : وما لبثت الشمس أن غربت عن بلاد وطلعت على بلاد ، فآفاق
 في مهرجان وآخر في حداد . خدنت نفسي بالانشاء ، فرارا من وحشة الظلماء . لكني
 ما هممت حتى شعرت بانخفاض طائر من الجوارح ، وسمعت هاتفا يقول : يا منادى
 الحجر ، ومناجى الأثر بأخطائك ، صدوقه الخبر ، وغابت عنك أمهات العبر . هلا قلت
 في شكوى الحال ، ونجوى هذه الاطلال :

يا أيها الحرم المنحوت من زحل هـ حسب النحوس علينا أنت والزمن

هوى حوائيك ملك لا قيام له هـ وغيب في ثراك الأديم المدن

وأمسك الهاتف عن الكلام ، قالت مذهبوا لعل أرى على المكان شبح انسان
 او خيال شيطان ، فلم أر غير نسر : مستجمع في وكر نسج عليه الدهر ، وهو يرنو
 بصفرارين كالتبر ، في كليهما انسان كنقطة من حبر . فدوت عنه وتأملت فيه ، وإذا
 هو قد وهن منه العظم وتناثر الريش من الكبير ، وشد مقبره إلى ساقه بلساب من

الطرم ، وأكل على جوجته الزمن وشرب القدم . فقلت لعله نوح النور ، أو بعض ما حمل نوح معه من الطيور . وابتدأت خطابه فقلت :-

« سلاما أيها الشيطان ، أن كنت لبس لقمان ، فأني عدهد سليمان ، قال النسر واستضحك . افتريت على النبيين والطير ، واتحلت لي ولك ما للغير . أنا آدم الشعراء ، ولا أطراء ، وأول من نطق بالقافية الغراء ، فارق هذه الغبراء . »

قال العدهد : وكنت لم أفقه ما رمز إليه ، ولم أعلم مراده من يتيه ، فبشرت نفسي وقلت شيطان قديم ، فلا أعلن منه عالم أعلم وفوق كل ذي علم عليم . ثم قلت لخالطه : « الأيام أيها النسر مدارس الأحلام ، ولا يستوى في العلم كمل ولا غلام ، فلا أستحي أن أسألك من أنت ، فقد استبهم على ما يشت . »

قال : أنا من سميت في قرصك ، وكرمت في شعرك ، وبعثت في فؤادك ، فضلك لا أنساء ، وما كنت ترائي لولاه . فقلت

لئن صدقت مزاعمي قالت الروح الأكبر ، والشيطان الأكبر ، والنسر المعمر ، ينتور شاعر الملك رعميس ، وحامل لواء البيان في طيبة ومغيس . قال إنه أنا واني بك لقرير . كنت أراك تسمع لواعظ الدهر فوق هذه المنابر ، وتجمع الخير والخير عن ذلك الملك الغابر ، والسلطان الغائب الحاضر . وجدير بأقدم المقابر ، أن تعظ الزائر والغابر . فهمست في أذنك باليتين ، أريد أن أريك عالم تر عين : انظر كيف ترى ومتف ؟ قلت أطلال بابة ، ورسوم عافية ، عندها قرية كبعض القرى ، لا تكاد تحسب من الثرى . قال فكيف ؟ عين شمس ؟ قلت مزارع ورمال ، لا لجلال عليها ولا جمال . قال فانظر ، القسطة كيف تراها ؟ قلت يوانات واديرة ، وتلال مستكرة . قال فما هذه البلدة الزاهرة ، والروضة الناضرة ، والدريّة السافرة ؟ قلت مدينة القاهرة . قال لمن هي ؟ قلت لغير أهلها . قال هي أذن في حكم المدن الغابرة . عواصم أربع كن مقار دول ، وكراسي عمالك ، وقواعد حكومتك تغير أحدا من الشمس بابه الملك ، وعظمة السلطان : حضرت الأهرام يومها وأمسها ، وشهدت مصرعها وكانت رمسها ، فاسأل ربك لقومك أن يكفيم نحسها . قال العدهد : فأطرفت أقامل في معاني هذه الكلم الجوامع ، واتدبر مغازي الحكم الروائع ، وأنا أستعرض كرة الأرض في خاطري ، وأقلب صفحات التاريخ في فكري ، فلا أجد لقضاء الأهرام مثلاً فيها وصفه للنسر عليه ، إلى أن أخرجني من أطراقى بأن قال :

« أرى الهدد بين عمرة جلت ، حين تجلت ، وفكرة في المعائن الأربع كيف
تولت . فهل لك في كلمات تمثلك وقومك في الغلطات ، وتريك الأمم في حال ذهابها
كيف ينقصها الآلهة من أخلاقها وآدابها اقلت ، لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ، أفى
أراك في ضلالتك القديم . قال قطعت حديثي لأمر لا يعينك ، لك ما تعبد ولي ما عبد ،
ولا يزر النسرو زر الهدد . فإن كان لك في الحقيقة فعل ثلاث . أن لا يجرى الأمور على
هواك ، وأن لا تنظر فيها بمقتضى طباعك ، وأن لا تأخذها ولا تسأل عن أسبابها . فهذه الثلاثة
تخرج ~~منهم~~ إلى الجبل ، فكيف تخرج من الجهل إلى العلم ؟ قلت ذلك لك يا شاعر الآلهة ،
فأنجز الآن ما وعدت . قال هلك الفراعنة وخطت الأسرة منهم وذهبت دولهم ، ونشبت
قبورهم ، وعرضت جنت عزت عليهم ، على الناس . ما أنتمهم ينكم معاشر المصريين
قائم لا ينقض ، وما منعكم من إلا طلعدة نكي ولا دمع . وتندب ولا حزن ، وتنتف
بما لا تعرف من أخلاق الميت وصفاته ، وسنة سارها في حياته . يفخر أحدكم بالعظم
الرميم ، ويتحلى في حديثه بالمجد القديم ، ويسر وهو حال من الغنى عديم . بما بلغ غيره
من اليسارة والنعيم . فإذا ذكر المصريون القدماء . رفقت الأتوف للسماء ، وزعمتم
أنكم سلافة الفراعنة العظام . لكم التاجان وعرشكم على الماء . وإذا جرت أحداث العرب
قلتم بينا أقرب النسب ، ولنا ما تركوا من حسب ، وما هو إلا سبب قطعتموه ، ودين
ضيعتموه . ولسان عربي بالعجمة بضموه . وإذا سمى جد الأتقاء ، وواسطة عقد
الأنبياء ، كنتم كنكم لآلى الشرف ، وما خرج قط لحزف ، من ذلك الصدوف . وإذا
نصر الترك في حرب ، وتركوا دوما في الشرق والغرب ، كنتم السيوف والآكف
والضرب ، وما ذقم لها من حرب ولا كرب . وإذا مات ملك ليس منكم ولستم
منه ولا يسأل عنكم ولا تسألون عنه ، وخطف لقومه سيرة تسير كالأمثال ، وخطى
مفاخر لن تيد ولن تنال ، كنتم المؤننين الشعراء ، لغيركم الميراث وعظيكم الرثاء .
قال الهدد : وبينما أنا في الأصفاء ، أخذ الحكمة الغراء ، عن آدم الشعراء
أذا قطع الحديث ، وتركني مفكرا في كل ما حاج في ذكره من قديم حديث . ثم صرفني
على أن اتقيه في منف أصيل الغد ، وأن غدا لناظره قريب .

المحادثة الثانية

قال الهدمد : فأظمت للطيران ، أترم عشي في حلوان ، وأنا كمن مر به غرام ،
على منازل الآرام ، ينفقت قلبي إلى تلك الأجرام ، ويعز على نفسي أن تفارق الأهرام .
ثم جلست في صدري هواجس ، وامتلأ خطرات من الرساوس . فتمنيت على قلة
غير هذه القلة ، وأملت من حكام مصر بعد مئة ، أن يتخذوا من الأهرام مقابر ،
للقبر الأفعين الأكابر ، فيدفن فيها الجليل والعزيز ، كالبتيون في روما وباريز ،
فأمنية إن شئت عدها سخافة . وإن شئت قل حديث خرافة .

من لي بأن تجعل الأهرام مقبرة • كالبتيون لأهل الفضل والفضل
مفتوحة لوفود الأرض فاعلمة • يزورها الناس من شام ومن يمن
منيعين من الأجلال في يحدث • مدرجين من الأعظام في كفن
مسطورة مناب النير فوقهم • آثارهم والذي أسدوا من المن

تخلت ، ثم خلعت الأمر قد تم ، وأعلنت المتكرمة مشيئتها فيه وصدر الأمر العالي
به ، ولم يبق إلا العمل بوجهه . فأعلنت الأضرحة النخبة ، في تلك الحبر القديمة ،
وأقيم الحراس على أبواب الأهرام ، وكتب على مداخلها بناء الذهب لعظماء الرجال
شكر الأوطان ، وقبل هذا القبر طين الميت ؟

قال الهدمد : خطرات شاعر وأمنية شيطان ، فمن حضر بعده تحقيقها فليذكره ،
ومن علم بها ولم يرها أيرزت من القول إلى العمل فليعذره . ثم بلغت عشي فتمت
ناعم البال مقتبلاً بما وعدت من لقاء السر ، كأنما وعدت ملكاً كبيراً ، فلما أصبح
الصبح قطعت نهاري متعللاً حتى الأصيل ، وأنا لا أدري ماذا عني السر بمنف ؟
أهذه القرية أم تلك المدينة ؟ وهل مرعدنا منفس أم ميت رهبة ؟
حتى إذا ذهب معظم النهار ، طرت إلى النيل أريد أن أعبره فوق سارية
من معدية ، فلما شارفته ، رأيت ما ملئت منه تعجباً وتحيراً . رأيت شاهقين يتغابران
ومضين مختلفان . هذه تلوح موحشة كأنها قبر ، يمكن فقره . أرض على الطبيعة ،
مرفلاح على الفطرة . وجية لغير مطلب ، وذهاب في غير مقتم ، وزرع للفلاح أباته .

وللتاجر ثمراته . وهذه تموج بمعالم العمران ، وتجلى في زخارف الحضارة ، وتتدفق حياة ، وتتوئب وجدانا . فوقفت أنأمل هذا المرأى البهيج ، والمنظر العجيب ، والمشهد البديع ، وأنا أتهم الخيال ولا أتهم الحس ، ولا أبرئ نفسي من سحر أو مس . وقد أنساني الدهول ذكر ما وعدني النسر أمس . أظفر إلى النيل فأرى التجاذيف تنهب مياهه من تكائر السفن لديه وتلاقى الزوارق عليه ، مشحونة بالبضاعة ، علوة من الجماعة ، فكانما أظفر إلى السين أو الرون أو الدائوب . قد كرت عندئذ ما قاله نابليون لجماعة من جنده في مصر ، قد مر بهم فرآهم يتظرون إلى النهر ، وسمعيهم يتساءلون . : هذا هو النيل الذي تشبه الكتب المقدسة يذكره ، وتبلغ الأجيال في قدره ؟ إن السماع به خير من رؤيته . فاقترب منهم وقال : : انه لا يعوز النيل إلا خمسون عاماً ، ثم يقول لكم كما تصفه الكتب المقدسة أو أجمل : : فقلت في نفسي : لئن زعم نابليون أن مصر لا ينقصها إلا القديس ، ولا يد من أن تناله على يد الفرنساريين أو غيرهم من الأمم المتمدنة ، فقد مر مائة عام لا خمسون . فلما بالى أرى هذه الضفة بحالتها التي رآها جنود نابليون عليها ، وأرى لدى هذه نعيها وملكها كبيراً ؟

٥٥٥

وبينا أنا في التخيل تارة ، والتأمل تارة ، والتوهم مرة ، واليقن كرة ، بصرت بزورق يقترب مني ، ويخرجه عصبة من المجدفين في الزى المصري القديم ، كما تمثلهم لنا الآثار وقد نهض فيه رجل كأنه المثال المنصب رونقاً واعتدالاً ، وسكينة ومهابة . وهو مكشوف الرأس لابس ثياب المصريين القدماء كذلك ، فأشفقت من رؤيته الزورق ورجاله لأول وهلة ، وتحفرت للطار فصاح الرجل في يقول : إلى يا هدهد . إني أنا النسر ، فلا تخف ولا تخرج . قلت وما يدلك يا مولاي . وما هذه الحال ؟ وهني جئت لك فأين تريد أن تجعلني ؟ قال تقدم ثم نكلم ، فطرت من فوري إليه فتلقاني بكلمات يديه ، ثم رفعتي فوق كتفه ، وقال هذا مكانك ، فاستقم فيه ولا يكثر من التلفت والاتفاضل فتودين . قلت سمعاً وطاعة يا مولاي . عندئذ أشار إلى الملاحين ، أن يثبوا بنا واجعين ، فسالت أيديهم بالزورق في نهري به الجلال وخط عليه الجلال ، تلاقى السفن فيه كالجبال ، تنوء بالبضائع والغلال ، وتفيض من الرجال والأموال . فسالت النسر لمن هذه الأرباح يا مولاي ؟ لقد أذكرتني كنوز سليمان

عليه السلام ، وجزاريه المنشآت في البحر كالأعلام ؟ قال هذه رعية مولانا الملك
رمسيس ، تروح وتغدو بين طيبة ومنفيس . ناهضين بالتاجر الجسيمة قاتمين بالأعمال
العظيمة تهري السفن بهم ليل نهار ، بين شاطئين كلاهما يحيط لرجال التجار . قلت
وإلى أين تمضي في الآن يا مولاي ؟ قال ألم أقل لك موعدنا منف وما نحن قادمون
وهذه معاملها تبدو وتظهر ، وتلك مجاليها تضي . وترهر ؟ فأخذني الدهش وصحبت : الله
أكبر ! فأنكر النسر على صيحتي وقال ألم أزدبك بالأمس ؟ فهلا دار بقتاني في دارنا
وأرضيتنا في أرضنا ؟ قلت وما عساي كنت أقول يا مولاي ؟ قال كان أولى بك
أن تسكت . أو تقول الشمس كبيرة وحفيدها رمسيس كبير . قلت لا أعوذ لطلبها
يا مولاي فهل لي أن أرى حفيد الشمس ذاك ؟ قال ستراه وتسمعه . فلا تعجل ولا
تزدني بأستلثك .

ثم استقر بنا الزورق ونالت أقدامنا منفيس ، فإذا بها تحلت من الزخارف بكل
نظير ، وتحلت لختال في حالي البهاء ونظير . حيث انفتحت رأيت حولي عزازة وعماره ،
ونروة ويسارة ، وصناعة وتجاره ، وجباعاً ولمااره ، وجمود البر والبحاره ، من كل
ذي وشاره . فلم أتمالك أن اغرورقت عساي بالدمع فأنفت النسر إلى وقال ، أدمعة
سرور وفرح ، أم عبرة أسي ونوح ؟ قلت بل كلناهما يا مولاي . فكن سرني أن
أرى هذا المجد لمصر أولاً ، لقد سامني أني لا أراه لها أخيراً . قال لو أن فوق كل
شبر من أرض مصر ، هدهداً ، يملؤه دمعاً لما اغني ذلك عنها شيئاً فمليك بالأمل
والاستقراء ، قبل البكاء والاشتكال والتبصر والاعتبار ، قبل النحيب والاستعبار .
فكفكفت دمعى وقلت لا يكونن إلا ما أمرت يا مولاي .

قال الهدهد : ثم مررنا بهيكل يأخذ العين ، ويملك النفس ، وبأسر المظاهر
ويستوقف اللب قبل الناظر . فتوجه النسر وجهه ثم دخل بين حراس يتحنون له
تعظيماً وإجلالاً ، وكان يوفونه ثحية واستقبالاً . وهناك جعل يطوف في حوله
القواعد والأركان ، ويرفع بصره إلى دعائم البنيان ، وينتقل في من مكان ، ويذهب
في صعداً وصيباً في حبر عالية غالية ، ومقاصير خالية ، من عيب خالية . منها الداجي

المظلم الخائف من نور الشمس اليه مالك ، وهو يقول : هذا يا بني الهيكل
الاشهر ، بيت (قناح) الاله الاكبر ، حلبي حتى هذه المدينة ، ومليها الأمن والنعمه
والزينة . تنقل معي من حجر إلى حجر ، وصل معي من أثر إلى أثر ، وأنهم النظر
في هذه النقوش والصور ، ترها في ضئائر الجفن أدق من الخواطر والفكر ، وما
صنعت في نور الشمس ولا في ضياء القمر ، لكن في ضوء سراج ضئيل غير وهاج .
ثم تأمل في الحجر بجانب الحجر كأنهما واحد ، انقسم على نفسه شطرين .

انظر إلى هذا الجبال كيف قطعت من إلى الأساس كيف صنعت من إلى العمد كيف رفعت .
و إلى الزخارف كيف جمعت ، هل ترى في جميع ذلك إلا معرفة في العلم ، ودراية في الفن ومهارة في
الصناعة ؟ وغير أحكام في الصنع ، وإتقان في العمل ، ورغبة في البناء ، وهمه عالية في الأمر
وذلكا . فأتى في الأمور ، وطاعة واجبة للملك على الرعايا ، وعصاة مفروضة للرعايا
على الملك ؟ وهذه يا بني أسس الآداب وروح من الأخلاق ، يوقى الحياة في الأمم ،
وسر نجاح الشعوب .

قال المحدث . وكنت أراعي القسر وفكرتي في الملك ، أظني أن أراه مرة واحدة ،
فناجيت بذلك فغضب من هذه المفاجأة وقال : الملوك أيها المحدث في كل مكان من
عالمهم ، إذا تقيوا حضرت ما تترحم ، وإذا احتجوا أسفرت مفاخرهم . حيث
نقلت القدم في هذه العاصمة حدثك عن الملك عن الملك ، ووصفته لك هذه القولة
الكبرى كأنك تراه . على أني سأنبئك سؤالك واجعلك من رمسيس بحيث تسمع
وترى ، فلا تعجل على ولا تكن كمن يزورون الاستانة ولا أرب لهم إلا حقة
السلامك ، وإذا قضوا أربهم من حضورها رجعوا إلى أوطانهم متجعين بما لم
يعلموا من أهبة ذلك الملك وعظمة ذلك السلطان .

قلت أفيرضيك أن أكف عن السؤال بآء ولاي ؟ قال أسأل ما شئت إلا
الصغائر فأتها تفتل النفوس ، وتطفيء نور العقول ، وما اشتغل بها شعب إلا
هلك حيا .

إن لرئيس وجهها كيمض الوجوه ، وجسمها كساتر الاجسام ، لكن إذا وقعت
على شيء من بسطة ملكة ، وامتلأت نفسك مهابة من سعة دوله : ورأيت آثار
تعمته على رعيته ، ثم لقيته بالذات لقيت آلهة في زي أنسان ، تحصر في جلاله العيان .

وبحقق لأدنى لحظة منه الجنان، قلت مروتا في عجبتنا إلى الهيكل بعائر شتى وأبنية تشيد،
 وها كل تعمير، فكنت أرى العمال صنفين، والصناع فريقين مختلفين، فما شرفه
 من الأعمال وكان للعقل والرأي معظم الأثر فيه، تولاه المصريون بأنفسهم
 وما خسر منها وكان شاقا، يشترك فيه الساعد والجسم كعمل الطوب وجرا الأثقال، قام به
 طوائف من الناس، ذرية أزيادهم، مختلفة صورهم، مسودة وجوههم، فمن
 هؤلاء يا مولاي؟

قل غريبا أسروا في الحروب وجرى بهم إلى مصر فأرواحهم مباحة للملك بنهب
 منها ما يشاء، ويسخر من استبقى فيها بشاء، ويجود ببعضها على قواد جيوشه الذين
 جنوا معه ثمر الوقائع، وشهدوا بحجته المبارك والمعامع، قلت عجبا لكم معشر الآباء
 تلبثون هذه المطالع من المدينة، وتأخذون بهذا النصب من الحضارة، ثم تقسو
 قلوبكم فهي كالحجارة، أو أشد قسوة؟ فلو أطلع الأفرنج خفاؤكم في الأرض اليوم
 على سورتكم هذه في معاملة الغريب والأسير، لأنكروها عليكم إنكارا، ثم لولوا
 منكم فرارا، قال يبقى الخيف، ما بقي السيف؟ وليس ما نسبت إلى أصحابك من
 الرحمة المتناهية، وعزوت إليهم من الفلسفة العالية، الاصله من حبلك، وقلة في علمك.
 يتكبرون على ملوكنا أن يلعنوا من ليس من دينهم من الأمم وما أشبههم في
 ذلك بادوارد السابع يوم ذم المذهب الكاثوليكي بسمع من الأشراف، أتباع هذا
 المذهب، يرموننا بفرط الكراهية للغريب واقتناء الحفلة، ولنا في ذلك اعتذار
 مقبولة، فابششنا في وجهه قط، ولا استقمنا إليه مرة، الا طمع في ملكنا، واخذ
 علينا أمرنا، على أننا علينا الأمم من بعدنا شرع الوطنية، وعرفناهم كيف يطول
 عمر الدولة عند قوم، وتمتد برهة الحكم بينهم، إذا هم اعتقدوا في جميع أمرهم على
 أنفسهم وحضروا على يد الاجنبي أن تعبت في شؤونهم، ولئن بالغنا للغرباء في
 سوء المعاملة، فلنا من موقع بلادنا الطبيعي عذر واضح، فما في مصر الا سهل
 سهل غزوه والاعزلة عليه، وواد مكشوف للأبصار الفخاخة إليه، فلو لم يسر عليه منا
 السامرون، لما لبث في قبضتنا طول تلك القرون

وما أسير الحرب عننا بأشقى من أسير الاستعمار عندهم، يزرع لهم ويحصدون،
 ويبني لهم ويسكنون، ويسير عليهم وينامون، ويفتح لهم البلاد ويملكون، وإلى

بعض هذا يشي الشقاء والصغار والهنون . قلت يكاد علمك بسمع الأشياء كلها بأمولاى .
فلو علمت ما مراد الملك ومسيس من مواصلة الغزو ومتابعة الغارة والخروج من
حرب والدخول في حرب ، ومثاله بين الملوك الغابرين منهم والحاضرين ما لا ترى
أبصارهم خلفها مطر حيا ، فهلا أقر السيف وحقق الدماء ، فقد ملك الأرض قبل يريد
أن يملك السماء ؟ قال السيف يابى على السيف ، والدول اذا كبرت وعز مقامها
وتعظمت وعرفت الجاه والنفوذ جدد بها الخرص على البقاء ، وطمعت في المزيد من
الارتقاء . مخافة ان تنفق فيدركها اللاحقون ، او تتعطل فيغوتها السابقون . وقد
جرت العادة بين الناس أن الضعيف لا يزال يرمى القوي بالبغي حتى يصير ذا قوة
مثله ، فيطغى مثل طغيانه ، والفقير لا يزال يتهم الغنى بالجشع حتى يثري فيصبح هو
الاجشع . وليس ما ترى من رحمة الناس بالبوير (١) وما تسمع من ذمهم الانكيز
المعملين السيف في جنوب افريقيا منذ عامين ، إلا حسدا لا يرفع البوير ولا يهضر الانكليز .
ولو أن إحدى الدول مكانهم ما كان شأنها الا شأنهم . على أن القنع إذا نفع القاهرة
مرة ، نفع المقهور ألف مرة . فرميس انما يخرج الأمم من الظلمات الى النور . فيفكك
حقولهم من عقابها ، ويشفى نفوسهم من ضلالتها . ولولا فضل المصريين على أهل
العصر الأول ما قامت للإسكندر دولة ، ولا اجتمع للعبرانيين أمر ، ولا انعقد
للاشوريين لواء .

سرى نورهم في الأمم المجاورة ، وامتدت حياتهم الى الشعوب المعاصرة . وهكذا
سنة الدهر في الناس ، أو آخر يرثون الأول ، ودول تبقى على انقاض دول .
قال الهمد . فعذبت مقالة النسر في نفسي ، كأنها لفظ الشقاء على لسان طيب ، وقلت لقد
أخرجني من بأسى بأمولاى وعلمتني من مستقبل مصر ما لم أكن أعلم فتهديتوور وقال تجمع
كل أمة جوامع شتى من لغة ودين وجنس وأمل وبأس ، وسراء وحضراء ، وأنتم لا تعرفون
غير جامعة الموت تجمع الأعداء . ثم قطع الحديث ، وقال هذا شيء تحدث فيه بعد ، فلبق فيما
نحن فيه من اجتلاء المناظر والمشاهد ، ومناجاة المعالم والمعاهد . وقلت ذلك أنفع لي

(١) . إشارة الى حرب جنوب افريقية بين البوير والانجليز التي اشتهر فيها القائد

بامولاي ، فإ هذا التمثال القائم بين مقاصير الآلهة من الهيكل وبين مجلس الملك
بومنتب عرشه ، فإني أراء كمون بن عنق في ضخامته التي يزعمون ، فشي النسر إلى
التمثال وجنا لديه ثم نهض وقال ، فرغ الملك من حروبه التي تسير كالأمثال ، وأمن
تقوم بحالك ، وأخذ بالثقة من المستعمرات الواسعة ، وفرق جيوشه في البسطة عز زون
عنها آية الملك ، ويحمون أطرافها ، وأصبح من ثبوت الدنيا له واستقامة الأمر في يده
يحكيك قلت في وصفه ومدحه :

رئيس يملك الدنيا وواحد لها وبضعة النور وابن الكوكب الأحد
الشمس مثلك بعد اليوم ما ولدت والشمس مثلك قبل اليوم لم تلد
فإن تكن في سرير المجد عائدة فإن عرشك مرفوع إلى الأبد
حتى إذا فرغ من تشييد مملكته ، والأحياء لحفظها ، وجعلها بأمن من الحساد
والأعداء ، ففكر فيما يخلد اسمه ، ويؤيد ذكره ، ويكفل لتاريخه الدوام . فبنى المدائن
وأشأ في كل واحدة منها هيكله خاصاً بالله أهلها الذي يمدون ، وسور هذا الهيكل
القديم بالأعمدة التي تراها تحيط به ، وليس أنعم ولا أضخم ولا أجل في الأعين منها .
ثم أمر أن تصنع صورته عظيمة وتحمل في الهيكل ، فعمل له هذا التمثال وطوله
ثلاثون ذراعاً ، وهو من عمل الأسرى وخدمهم : وقد عني الملك بأمر ذلك فرغب أن
يكتب أنه ، لم يعمل مصري في هذا التمثال ، قلت وفيه هذا التبرؤ بامولاي ، ولو أنه
من صنع المصريين لكان بالملك أليق ، ولكانوا به أحق ؟ قال أن رجلاً يرفع أكبر
دولة في الأرض ، ويقهر أربعين أمة ، ويضع حدود مملكة أي شأ ، لا يؤخذ بكثرة .
فكيف ينتقد في صغيرة ؟ قلت لأنك في دفاعك هذا عن الملك ، أشعر منك في مدحه .
قال إنما أدبت بعض حقه .

وهنا غلب النعاس على النسر ، فجعل موعده الهدهد ميدان الملك في أصل القند

(يبع)



الفضاء والحادة

يقف المرء في الليالي الصافية الأديم يتأمل في مظهر السماء مأخذوا بمخلصة هذا الفضاء الذي يحيط به . وإذا كان ملأ بعلم الفلك فإن دهشة تزداد من جراء رؤيته نور النجوم الذي تقطع من المسافات مالا يحصى ، ومن الوقت الوق السنين التورية كما يصل إلينا . وقد يحس رأسه باحترام أمام هذه العظمة ، ويقوده التخيل إلى الدخول في ناحية غيبية صرفة ، يفسر بها هذا السر العجيب فيقول : من أوجد هذه النجوم ومن بسط هذه الأبعاد ؟ ومن رتب هذه التوابع ؟ الله !! الله القادر على كل شيء . وما الله عنده سوى قدرة خفية ، ينسب إليها إيجاد كل مالا يقدر على كشف سره . كالجاهل الذي إذا سمع صوت الرعد قال هذا صوت الله ! ولكن العالم لا يقول هذا ولا يتكلم على قدرة خفية يمثل بها أسرار الطبيعة ، فهو يتعب ويشقى في التفكير والبحث كما يعرف أسرار الكون من غير أن يتطلب شيئاً غير الوصول للحقيقة . ولهذا فإن مظهر الفضاء عندنا ، بعد أن تحقق مصدر المحسوسات الطبيعية ، لم يعد مظهراً غريباً ، ولم يعد لغزاً جده ، لهذا يعد عن أن يلج ناحية الغيب كي يحلله ، بل يستخدم العدد الرياضي كواسطة لا تخطئ في الحكم ، والكشف عن سر أهم مشكلة عاليتها الفلاسفة والعلماء منذ قديم الزمان حتى اليوم وذهبوا في تفسيرها مذاهب شتى .

ـ ماهو الفضاء ؟ ؟

ـ الفضاء لا شيء في ذاته ، فهو والوقت واحد ، واليك السبب :

أن المسافة بين بيروت ومصر ليست واحدة في اعتبار الناس . فالذي يسير على قدميه إلى مصر ليس كالذي يسيروا كيا قرسا ، وهذا ليس كالذي يركب الباخرة ، وهذا ليس كالذي يركب الطائرة ، وهذا ليس كالذي يسير بسرعة الضوء ، فالمسافة هنا تغيرت بتغير السرعة . ولكن ربما يعترض البعض بأن المسافة بين بيروت ومصر محدودة بكذا كليلوا مترات ، فلا عبرة إذا قطعها الإنسان في ثانية أو في شهر ، غير أن هذا الاعتراض مردود . إذ من الذي حدد المسافة بين بيروت ومصر ؟

هو - الانسان :

وما هو الانسان ٥٥ .

هذا هو السر في هذا البحث . فالانسان هو الذي يحدد المسافات ، وهو ساكن في كون سريع الحركة ، فما يحدد من المسافات لا يرجع للكون ، بل اليه . لان ما يراد من الفسحة ، يرجع للنور الذي يحمل اليه مظهر قدر الكبر . والنور قوة بسرعة فهذا الكيلومتر الذي يحدده ليس له وجود حقيقي لان الفترة التي يحدده بها ، ترجع لسرعة النور ، وسرعة النور تقطع في الثانية ... و ٢٩٠ كيلو مترا (١) فلو ارد مهندس ان يقيس فسحة تبلغ كيلومترا ، لما أمكنه عمل القياس في أقل من عشر دقائق . وفي أثناء هذه الدقائق العشر ، يكون النور قد قطع مسافة ... ١٧٤ كيلو مترا . هذا من حيث أن المهندس ساكن ! ولكنه إذا سار بسرعة النور ، لما وجد مكانا للفسحة ولا زمانا لان الفسحة والزمان من جملة مظاهر سرعة النور ، وبحيث هذه السرعة يقودنا الى ناحية أخرى لا محل ليحتمل هنا .

من هنا نقول ان الكون محدود ، ولكنه غير متناه . لان سرعة النور التي توجد الفسحة والزمان ، تسير في خط متجه ، وهذا الاتجاه يؤلف حجبا محدودا هو الكون . فمعرفة قدر المسافات (٢) ترجع لوضعية الانسان الذي يقيس ، والآلات التي يستخدمها من حيث أنه وأدواته جزء من كل . وما يحدده يكون بالنسبة اليه ، لا الى الكون . لان الكون وان كان محدودا في نظر المهندس الساكن ، فهو ليس في ذاته سوى (كم) quantum لتشاط . يظهر في آخر تحليل ما كنا . وهذا السكون ليس شئنا ، انما نحن في وضعيتنا الحاضرة فلا نقدر أن ندرك الاشياء . لاننا يادرا كنا اياه يصبح شيئا ! ولهذا كتبت الى العلامة آنيشتين استوضحه هذه المشكلة ، وحسب رأيي يجب أن يضاف على المعادلة التي أرتاها نسبة وضعية الانسان المفكر ، لكي لا يبقى مجال للبحث والشك ، لان تركه الحالة

(١) اليك السرعة الحقيقية في انتشار الضوء . فهو ينتشر في الهواء ، وهو جسم ، بسرعة ٢٩٩.٨٨٨.٨٨٨ كيلو مترا في الثانية . فإذا انتشر في خلا ، أي في فضاء خلو من الاجسام ، ازادت سرعته ٨٢ كيلو مترا في الثانية ، فيصبح ٢٩٩.٨٨٨.٩١٠ كيلو مترا في الثانية .
الوحدة (٢) الفسحة والمسافة شيء واحد في هذا المقال (العصور)

التي تحسب اصل كل المحسوسات بدون معادلة ، يجعل البعض من الرياضيين في حيرة .
 لأنه كيف يمكن أن توجد هذه الحالة من ذاتها ؟ ؟ فإذا لا افر بوجود هذه الحالة
 بوجود ذاتاً ، بل اثبتها من حيث وضعية الانسان المحقق ، فهي موجودة لان الفكر
 موجود ، فلو انتهى الفكر ، لانتهت هي ايضاً . وهذا من أصعب مشكلات النسبية .
 يوجد في علم الجبر هذه المعادلة $m = \infty$ أي ان المتر من القياس لانهائية له
 في التقسيم . ولكن لماذا لا نذكر الانهائية ؟ لان فكرنا الذي نحدد به الاشياء
 يرجع بدوره الى مادة لها حجم ولانهائية لتقسيمها : إذن فالأصح ان نقول ان فكرنا
 الذي لانهائية لتقسيم مادته ، يعادل المتر من القياس الذي لانهائية لتقسيمه ، او ان
 عادة فكرنا مع المتر يعادلان الاشياء .

ولكن لا يجب ان نكذب في البحث عن اظهار حقيقة القضاء : قبل اعلان نظرية
 النسبية كان البعض من العلماء يذهبون مذهب الديواليسـت Dualiste الى ان
 الكون يقوم على قبدأين أو نظامين هما : الاجسام ، وذوات الحجم والثقل والشكل
 وبقية ما يتعلق بالمادة وـ ، القوة ، التي ليست قابلة الوزن ولا الثقل لها : ومن مجموع
 الاثنين يظهر النشاط ويتوزع ويشكل كافة المحسوسات ، سواء أمن جهة الحركة
 والمظهر ، أم من جهة التفاعل والامتداد والضغط والتكهرب والتجذع ، تغير الحالات
 الخ . وكل هذه تتطلب حجماً ، والحجم هو القضاء . وقد اختصر د روبرت ماير ،
 هذا المذهب بقوله : ان الطبيعة تنقسم الى قسمين ، ومن مجموعهما تظهر كافة
 المحسوسات . فالقسم الاول يختص بصفة ، الثقل ، التي لا تدرك ، وهذه الصفة هي
 المادة ذات الحجم . والقسم الثاني يختص بما ينقص الصفة الاولى وهو : القوة ،
 غير القابلة للوزن . وهذه القوة غير قابلة للقضاء . فالحجم والنشاط ، شيان ابدائيان مختلفان
 في الاصل كل الاختلاف . والواحد منهما لا يتكاثر إلا بالانقسام في الآخر . والمادة
 لا يمكن ان تداوم البقاء إلا بكمية متعاطلة مع النشاط اندغم فيها في حالة أولية .
 فهي من هذه الجهة تشبه اسفنجة تمتص من الماء بقدر كبرها ولكن لا يزيد النشاط
 حجم المادة في هذه الحالة ، لأن النشاط لا ثقل له ، والمادة ليست سوى مجموعة
 نشاط طبيعي الذي لا يوجد بدونها ، فحجم الاجسام الثقيلة والنشاط الذي لا ثقل له

يُتَبَيَّن كعالمين مستقلين في الأصل . فقد قال (بول جاتيه) في كتابه — مبادئ الكهر بانيه الذي ذهب فيه مذهب (الديرياليست) ان العالم الذي نعيش فيه هو في الحقيقة (Realité) عالم مزدوج . من حيث انه مركب من عالَمين مختلفين الاول عالم (المادة) والثاني عالم (النشاط) فالتحس والحديث والكربون تدل على المادة والاشغال الميكانيكية والحرارة تدل على النشاط . وكل من هذين العالمين له قواعده وقوانين يسير بموجبها ، فلا يمكن خلق عادة جديدة ، أو إقناء الموجود ، كما أنه لا يمكن إيجاد نشاطا فوق الموجود ، أو جعل هذا الموجود يتلشى . فالمادة يمكنها أن تتغير إلى مئات الأشكال مع النشاط ، بدون أن تصبح نشاطا ، ومن غير أن يصير النشاط مادة . ولا يمكن أن ندرك مادة منتقلة عن النشاط ، أو نشاطا منتقلا عن المادة . ومذهب الديرياليست ، ينحصر في هذه الخطة : — إن المادة وحدها تحتوي على الحجم والقل والشكل أما النشاط فلا حجم له ولا ثقل ولا شكل — ومن هنا يظهر هذا الفرض

١ — إن النشاط لا يمكن أن يدرك بخارج المادة :

٢ — إن انتظام النشاط في الأجسام لا يدع هذه الأجسام ما كنه :

٣ — إن الكون الموضعي في الأجسام لا يزيد حجمها :

٤ — أن ظهور النشاط في شئ من النور لا يزيد ولا يقلل حجم الأجسام :

٥ — أن حجم الأجسام لا يتصلح ، ومبدأ بقاء الحجم يختلف عن مبدأ عدم

اضمحلال النشاط :

ولكن فروض هذا المذهب يناقض بعضها بعضا . إذا كيف يمكن أن تكون القوة غير القابلة للبقاء منتقلة إلى الأجسام وممثلة لحركتها ؟ وكيف يكون اشعاع النور العديم الحجم من مظاهر النشاط الذي يوجد للمفع في أصل المادة ؟

قال هرتز ، Hertz ، في كتابه — مبادئ الميكانيكيات — أن القوة ليست سوى مظهر من مظاهر الحجم أو الحركة . لأن لا شيء يحدد الحجم والحركة . إنما هذا الرأي لا يعد من جملة الآراء الرياضية النهائية ، وهو يشبه رأي ، مكسول ، في الكهر بانيه ، ورأي اللورد ، كاليفين ، في الأثير ورأي ، هيلبولتز ، في القواعد

• الكليكة ، (١) لأن الحجم والحركة مظهران ديناميان معلولان من مركز القوى التي تنفرج وتتغير بقطر مستقيمة من مركزها . وقد أثبتت نظرية النسبية هذه الحقيقة ، حيث جمعت بين الحجم والحركة ، وأوجدت معادلة رياضية صحيحة ، ظهر منها سر الكون . فالاجرام الطبيعية ذات الاحجام تنقص من أحجامها في كل ثانية ما يوازي الباقي من قسمة مربع سرعة النور على مربع سرعتها . ومن جراء هذا فإن الأرض تنقص في كل ثانية ما يبلغ ٦ سنتيمترات و ٤ ميليمترات . لأن سرعتها ٣ كيلو مترا في الثانية ومربع هذه السرعة ٩ كيلو مترا وسرعة النور ٣٠٠٠٠٠ كيلو مترا (تقريبا) ومربع هذه السرعة ٩ مليارات ، فلو قسمنا مربع سرعة النور على مربع سرعة الأرض ، لكان الباقي جزء من مائة مليون جزء . وفي هذه الحالة يكون مترا قد قصر ٥ أجزاء من مليون جزء من المليمتر فأقل (٢) . من هذه الحقائق ، ظهر سر انحراف عقارب في دورته . فالعلماء قبل إعلان نظرية النسبية ، كانوا يجهلون كل الجهل **سبب زيفان** هذا السيار في دورته عن فلسفة المقرر وظهر لهم أن فرق هذا الزيفان يبلغ ٣ أجزاء من الدرجة في ظرف مائة سنة . ولكن نظرية النسبية جعلتهم يعرفون سر هذا الزيفان . فعقارب سيار ذو حجم سريع في فلسفة ككل السيارات . فلو أخذوا مربع سرعة النور ، لعرفوا مبلغ قصر حجمه في كل ثانية ، وهذا القصر في الحجم يجعل المسافة تقل بين الشمس . لأن الأبعاد تكون نسبة الاحجام وسرعتها كما بين ، كبلر ، فالكون حسب نظرية النسبية صائر إلى الاندغام . وهذا الاندغام يذهب بالوقت والفسحة . لأن الوقت والفسحة من مظاهر وضعية السيارات . فلو وازت سرعة السيارات سرعة النور ، لما كان من سيارات ووقت وفسحة . لأن الاختلاف في السرعات هو الذي يوجد الاحجام ، والاحجام مظهر الوقت والفسحة . ولما كانت القوانين الدينامية تدل على أن السيارات من المظاهر التي تسير مع الزمان ، فمن الطبيعي أن يكون الزمان سائرا بهذه السيارات إلى أصلها .

إبراهيم حداد

(١) يمكن أن تدعى الزويفية ترجمة (العصور)

(٢) راجع لكي تفهم أينشتاين ، لموره ، صفحة ٢٧ ومبادئ النسبية ونظرية

نواميس الانتقال لسكرل صفحة ٢٠ (حداد)

Ascenseur

كلمة فرنسية مشتقة من كلمة (Ascension) ومعناها صعود ، ويراد بها صعود
الإمامين المرتفعة كالجبال مثلا

وقد اختلفت الآراء في وضع مرادف لها باللغة العربية فقل عنها ، رافعة ، وهذه
اللفظة لا تردى معناها فضلا عن أن علماء الطبيعة اصطلاحوا عليها في علمهم على ساق
ترتكز على محور وتعمل في أحد طرفيها قوة وفي الآخر مقاومة، لذلك القوة ومن أمثلتها
المحور والميزان والمقص - الخ -

وقيل عنها ، مصعد ، بالكسر وهذه أيضا تليق على المطالع مع لفظة « مصعد »
بالفتح المستعملة في علم الطبيعة للقطب الموجب في عمود التحليل بالكهربائية
وقيل عنها ، مرفاة ، بالكسر أو الفتح وهذه تؤدي فقط معنى السلم أو الدرج
وحيث كانت هذه الألفاظ الثلاثة « رافعة ومصعد ومرفاة » بعضها مستعمل في
علوم أخرى وبعضها لا يؤدي المعنى، فيحسن أن يطلق عليها كلمة « مصعاد » على مثل
منطاد متعا للالتباس

والمصعاد في العرف غرفة صغيرة يصعد بها وتتحرك بقوة إما مائية أو كهربائية،
والثانية أكثر استعمالا

واست فكرة الصعود بهذا الأسلوب حديثة العهد كما يظن ، بل هي قديمة معروفة
عند الشرقيين. فقد كان القدماء يستعملون مثالا لها في الآبار بوضع بكرة في الخشب يعلو
منها دلو معلق بحبل يجذب، فيسحب عليها رافعا الماء في الدلو ، وينطوى الحبل على
جهاز لا يزال إلى الآن معروفا عند الأهالي ، بالهولاب ، وقد وجدت نفس الطريقة
المذكورة ولا تزال في بعض المنور القديمة بمصر والمدينة المنورة وغيرهما، حيث كانت
تستعمل في رفع الأدوات من طبقة إلى أخرى أعلى منها

على أن ما ورد في بعض الكتب التاريخية الموثوق بها من حكاية « الزنبل » الذي
صعد فيه اسحق بن إبراهيم الموصل وعبدالله المأمون بن هرون الرشيد في القرن الثاني

الحجري بغداد والذي كان معلقاً بأربع مقابض مربوطة بحبال تجذب إلى أعلى، لا كبر شاهد على أن فكرة المصعد قديمة وكانت متداولة في كثير من المدن الشرقية

وإذا نظرنا إلى العهد التركي نجد مثال المصعد واضحاً تماماً في ذلك الجهاز الذي يستعملونه في القصور لرفع الطعام من المطابخ السفلية إلى الطبقات العليا، أما استعمال المصعد للغرض المستخدم له عادة الآن، فيرجع إلى سنة ١٨٦٧ م إذ فكر المهندس الفرنسي ايليو (Edouard) في استعمال ضغط الماء لرفع المصاعد، وهو أول من كانت له هذه الفكرة

ثم كان في سنة ١٨٨٠ أن عرض ويمرسيمنس (Weimer Siemens) في معرض منيم (Mannheim) بالولايات المتحدة مصعداً كبيراً يقبل بالاستحسان وجاء بعده المهندس هرتيميز Heurtemiz فوق القوة المائية مع القوة الكهربائية

في المصاعد فصارت من ذلك الوقت على ثلاثة أنواع

١- التي تتحرك بضغط الماء

٢- التي تتحرك بالكهرباء

٣- التي تتحرك بضغط الماء والكهرباء معاً

وهناك مصعد آخر اكتشفه اميو (Amiot) ولم يتم استعماله بالرغم من بساطة تركيبه وصغر حجمه، وهو عبارة عن مقعد يصعد بقبح اعوجاج السلم ويمكن سنده إلى الدريزين عند عدم استعماله

وإذا وجهنا نظرنا إلى التاريخ، نجد فكرة رفع الأجسام بطريقة المصعد كانت شائعة مستعملة منذ عهد بعيد، ولا تزال إلى الآن تستعمل في وقت الحرب وهي فكرة تصعيد المعدات الحربية والخيول إلى الجبال العالية التي يتعذر فيها السبل السهلة وإن دققنا فيها نجد أنها نفس الفكرة التي استعملها الشرقيون لرفع مياه الآبار وقد يذكرنا التاريخ بها في زمن القائد هانيبال، عند ما عبر بجندته ومعداتهم جبال الألب لأول مرة في التاريخ

وكيف جاء بعده ، نابليون بونابرت ، عند ما أراد غزو إيطاليا من الشمال ، فعبر
نفس الجبال للمرة الثانية وحصد اليها الخيل والمدافع وذخائر القتال

==

نعود إلى وصف المصعد الكهربائي الشائع الآن فنقول : إنه عبارة عن غرفة
صغيرة ذات باب ومقاعد ، وهي مشدودة إلى حبال من السلك متينة تلف حول
بكر في الأعلى مقام على مساند قوية من كمرات الحديد تشد بالحبال من جهة واحدة
بواسطة محرك كهربائي موضوع في أسفل المكان فتسحب من البكر العلوي جاذبة الغرفة
مها إلى أعلى ، ثم تلف حول بكره بجانب المحرك الكهربائي ، وفي الجهة الأخرى من
الحبال ثقل من الحديد يوازن الغرفة ، وهو الذي يعيدها إلى مكانها بعد صعودها
ولا يستعمل المصعد في المنازل فقط ولكنه يستعمل أيضاً في مناجم الفحم
وغيره لرفع المحصول إلى خارج المنجم ، وكذلك في معامل السيارات ، حيث يكون
على مساحة كبيرة تسع عدة سيارات لرفعها في المصعد من طبقة إلى طبقة
وقد اجتمعت الثلاثة الأنواع من المصاعد في برج إيفل بباريس حيث تستعمل
المصاعد المائية والكهربائية والمائية الكهربائية كل نوع في دور من أدوار
البرج الثلاثة

يوسف أحمد

القاهرة ٣ يولييه سنة ١٩٢٩

مفتش الآثار العربية

أطلب من دار العصور للطبع والنشر
ومن جميع المكتبات المعروفة كتاب

العقائد

خطرات

في السياسة والتاريخ

خطاب ألقاه اللورد جون مورلي — John Morely — في صيف سنة ١٩١٢ بصفته العميد الأكبر لجامعة مانشستر بإنجلترا .

اللورد جون مورلي سياسي من أقران تلامذتون العظيم ومن أبطال السيلبيين الذين اشتبكوا في تسوية المسألة الأيرلندية في خلال القرن التاسع عشر . وهو فوق ذلك كاتب من أكبر الكتاب وأدبهم من أصحاب الآداب . حال إلى درس الأدب الفرنسي على الأخص ، وكان فوراً عبقياً في الترجمة عن حياة الأسبكتونيين ورجال عصر النهضة التي سجلت الثورة الفرنسية ، والكتب في هندسة كتاباً في جزائري ، كذلك كتاباً في روس في جزائري ، كما ترجم عن حياة فولتير ، وبيروجو ، وكولودورسيه ، وفولتير ، وغيرهم . وله كتابات كثيرة في تاريخ المسيحية تعتبر من المراجع المهمة في فلسفة هذا الرجل العظيم . وقد عني الأستاذ محمد رفعت أستاذ الآداب بمدرسة فؤاد الأول بالثبوتية بتأليف خطابه هذا الذي نلخصه بأن نشره على صفحات المصروف قبل ظهوره خطبواً هذا المريد

— ١ —

الجامعات وتشكوين مزاج سياسي للفكر — لجنة الدفاع الإمبراطوري — الجو والخلق القومي — بعض أسباب التحول الاجتماعي — المساعدة النقيضة بدء التفكير — قيمة الخلق الجامعي — المثل العليا وتحقيقها — الوهم الشريف والصراع المائوي — إساءة استعمال المملولات أسس الارتباك — مثل أمريكي — كلمات بسيطة ماثار مشاكل حادة — الحرية الدينية — أشكال الحكومة

الجامعات وتشكوين مزاج سياسي للفكر

حينما منحت لي الفرصة السعيدة أن أقف بينكم منذ شهر قليل ، عن لي أبداً

بعض ملاحظات عن الحقيقة الناصعة التي ثبت ان الديموقراطية في معرض مناقشاتنا اليومية معناها الحكومة تعمل مباشرة بواسطة الرأي العام . كما أثبت الالهية القسوى التي تحدو هيئة هذه الجامعة أن تعتبر شطرا من وظائفها المساعدة على تكوين طبائع الفكر والمزاج التي يترتب عليها ، مقرونة بمعرفة الوقائع الصحيحة ، وسلامة الرأي . وقد عنى في الآت أن أضرب على نفس النغمة وان أقول شيئا في السياسة والتاريخ . وان أصيب هدفين بحجر واحد . واسمى رحابة صدركم لأنى لا أعرف الا القليل من التاريخ . أما عن السياسة فقد يظن البعض ان معرفتي بها تفوق الحد المناسب وان درأى بها ليست عن خطأ . فان هناك جلورا للشر واضحة بعض الوضوح . ومن السهل أن نقصد السياسى والمؤرخ من المعاصرين . وقد يمتد ضررها للوزير أو النائب في عصرنا الحاضر ، بل وإلى كل من يتصدى لتفسير وقائع الماضى . واحدى هذه الشرور تفكك الفكر ، ثم حقيق عدى البصيرة .

هذا فضلا عن نواحي كثيرة أخرى من الضعف . واتم تعلمون ، أو على الأقل تسمعون ، عن أسوتها وهي الخوَل والنهرم والتخرج والتسويق وعدم التماسك بين الآراء ، والنفور . وقد أدرجت الأخيرة ضمن القائص اذ ليس بمنقصة ان يكون أولى موافقا نحو الآراء الجديدة مواقف الاستعداد والقبول للاستماع ، لامناصة العدا ، والكفاح الجدلى . فالمقابلة السمحة لا تعرف محبة الحق . يد أن الحياة قصيرة وهناك حدود للصبر على آراء الدجاجلة التي تثبت كالتفصيلات . وبذلك أن اذكر انكم لم تنسوا بعد الروح التي أملت هذه العبارة على وسينوزاء . وقد ذكرتها لكم في خطائى الأخيرة اذ يقول : " حينما وجهت عقلى لدرس السياسة بالغة التي كنت أعالج بها تفهم الرياضيات ، كنت أجهد نفسى كل الجهد كي لا أسخر من أعمال البشر ولا أنهرم بها ، أو أتضجر أو أغضب ، بل لا أخفيها هو كان يعنى بذلك النظر الى دوافع الشعور الانسانى من حب وكرهية وحسد وشفقة وحسب للطموح ، لا كدائل في الطبيعة البشرية . بل كخواص وصفات فطرية فيها لأصفتها لصوق الحرارة والبرودة والصواعق والعواصف بالهواء والسماء

طواهر الزمان

ومن هذه البداية ، ومن تبيان مزاج زعمائنا ، ندرج إلى التطبيق والمناسبات . ففى

مقدور كل ناقد مفكر ، متى شاء ، أن يصور بعض ظواهر هذا الزمن في صورة مروعة واضحة الحدود كل الوضوح ، فلنعم النظر فيها ، فقد وصفوا القوة السياسية كقوة محصورة في أيدي جمهور هائل متقل من المنتخبين ، لا تعنى إلا القليل بشئون التاريخ والتقاليد . وقد يتساءل الرجل العادي المنهك في كسب عيشه بماقية التاريخ ؟ ما يعنى منه ؟ ويحذروننا من أن الديموقراطية ستلج في وضع يرناجها بنفسها ، فيكسر الأعضاء والوظائف التنفيذية تشابه الآن تغيرات قديمي عليا شطرها . يد أنها حقيقة بعيدة الأثر . ومجلسا البرلمان في دور تحول اساسي تحت نظرنا ، ولم تصبح هيئة الوزارة ، وهي حجر الأساس في تأمين حرية من عوائد الزمن بالنسبة لجمعية وامتيازاتها ، فنظام الاحزاب ، هذا النظام العظيم السليم ، يقال انه ذاتي متحول الى جماعات وهيئات متألفة ، وقد حول نمو مصالح خاصة كل يدعى لها نصير من الوزراء يمثلها ، هيئة الوزارة الى اسم جمع لا يوضح كل الصلاحية لتركيز الجدل والمناقشة اللذين كانا مستطاعين حين كان "Pitt" ستة وزراء ثم أصبحوا سبعة - وليل (Lord Peel) اثني عشرة و Gladstone اربعة عشرة . في حين ان عددنهم الآن يقرب من العشرين .

لجنة النظام الامبراطوري

وقد ضمت الآن هيئة من الاختصاصيين الخبراء هيئة مختارة من الوزراء لوضع قرارات ونتائج في شئون الدفاع الحربى والانفلق على الشئون العسكرية . وهذه النتائج ولو انها اسماء للاستشارة والاستشارة لا غير ، الا انها بطبيعة الحال لها من الاهمية والاعتبار ما يؤثر حتما في حكم هيئة الوزارة على الامور ومسئوليتها . وفوق ذلك فيجلوس زعيم الحزب المعارض في هذه اللجنة الهامة ، اشارة ظاهرة الى انتقال الروح الحزبية في اعتبار الشئون الحزبية والخارجية (لان كلا من هذين الشانين متوقف ضرورة على الآخر) وسحب هذين من ميدان الخلاف والصراع الحزبى .

وليس ذلك اول مثال في تاريخنا لتحول هائل بطى . صامت في نظام امبراطوريتنا غير مدون في وثيقة او مصوغ في شكل تفنين منظم . فمن المعروف عند الجميع خطة السير وليم تيمبل W. Tempell المشهورة في زمن شارل الثاني (ولو انه لم يفهم احد مداها تماما)

وقد يرى بعض النقاد ذوى البصيرة ، شبه رجوع لمشروع ، تمبل ، فيما يعتبرونه تحولا بطيئا في تشكيل هيئة مجلس الوزارة ، بحيث أصبحت كمجلس شيوخ أعلى للإمبراطورية مع قيد واحد ، وهو الازدواج دائما على أغلبية مجلس النواب . وهذا شرط حيوي بعيد كل البعد عن تصور عصر تمبل ، وعقليته ، وهناك عنصر هام يجب أن لا يغوتسا ولو في شجة عجي ك هذه ذوى بلاتنا المستقلة وراء البحار Dominions بدأت تطالب مبدئيا بحقوقها في الاشتراك في إدارة هذه شئون الإمبراطورية في حين أن الحركة الأخيرة ، وليدة هذه الرغبة (وهي تعديل الاشتراك في النفقات البحرية) لم تستقر عن نتيجة حاسمة

الجو والمخلق القومي

وأهم من التعديل في الآلة الحكومية ، دلائل التغير في الجو القومي . وقد تكون هذه الدلائل سطحية مؤقتة . وهناك ما يحتمل على الانتشار بصفة ذلك . فانه ما من شيء أبعد على التأكد من استعراض أحوال العالم الحديث من ظاهرة أن الخلق القومي أبطأ الأشياء تغيرا ونحو لا في أسسه وفروعه . بيد أن البحث قد كشف لنا عن تزعزع الإيمان في اعتبار القانون كقانون ، والانحراف عن المنشآت القديمة المتوارثة كمنشآت . حتى أن المحامين الأقرباء الحقبة قد يستعملون لغة تتم عن اعتبارهم القوانين كنسيج من غزل العنكبوت

والاتفاقات المقررة بين الهيئات الصناعية ليس لها أحيانا من القيمة أكثر مما لحبال الرمل . وليس هذا التحول بفاصر على الخطرا وحدها . وبيننا المفكرون من الأمر بكيين عن مثل هذا التيار حتى في بلادهم ولو ذكرنا مثلا أن قيام العدالة و تصاد القوانين على الجميع عماد على الحكومات المتعددة فمن الداعي إلى العجب أن نسمع رسامة الأمريكيين من أفلاموا وظائف تشطاع باسمي المسؤوليات ، ينددون بحرارة بتنفيذ قانون العقوبات كسبة لبلادهم ، ويعترفون أن نظام تعيين القضاة مدى الحياة عندنا ، خير من نظام القضاة المعينين في بلادهم . أو من جهة أخرى يطلبون حق الاستئناف لاستثناء شعبي ، ضد قرارات محاكم الدولة في المسائل الدستورية ، وإقالة القضاة الذين أصدروها . وفي كلتا الحالتين ، فإن ما آل ذلك انهيار أسس النظام القضائي . ولئن

كان اضعاف الثقة في برلماننا شيء غريب ، فان القضاء على الثقة في عما كنا أمر لنا ان نكون منه أكثر خوفاً واشد خشية . وليس من الصواب ان نقول ان الحس بالاهتمام بالسياسة والتطلع الى شئونها وواجباتها ، قد ضعف ونضال ١١١

إن الواقع يكذب ذلك . فالشعور بالتكاليف السياسية ، إذا كان معياره عدد المشتركين في عمليات الانتخاب العام ، قد أصبح أشد قوة بدلاً من أن يقول إلى الضعف . والاحساس بالواجب الاجتماعي (وهذا احساس مغاير تماماً للشعور بالتكاليف السياسي) قد نما نماء كبيراً ، من حيث القوة والمدى . وقد يعرف الجميع أن « سايس » أحد رجالات الثورة الفرنسية ، نشر قبل انفجار الساعة على فرنسا سنة ١٧٨٩ رسالة من أقوى ما كتب عنوانها « ما هي الدولة الثالثة ؟ هي كل شيء ! ماذا كان شأنها في عالم السياسة حتى الآن ؟ لا شيء ! ماذا تطلب ؟ تطلب أن نكون شيئاً . ويحدونا الآن نافذ بصير ، أن وراء الدولة الثالثة دولة رابعة وخامسة قد نهضت ، ويجب أن يعمل لها حساباً . فالمرأة التي لم تكن شيئاً وتطالب الآن بكل شيء ، سيكون لها بعض الشأن في القدر ١٢ (١)

بعض أسباب التحول الاجتماعي

وسيتساءل القادرون على التفكير الجدي الصحيح ما هي الصلة الدقيقة (إن كان هناك صلة) بين التغيرات المحيرة للأفكار التي تجري الآن أمام أعيننا وميلاتها الحس ، في نظام حياتنا القومية وأفكارنا خلال نصف القرن الماضي ؟ — وهذه التغيرات هي — أولاً :

١- نقل السلطة السياسية الغالية من أيدي ارسوقراطية وراثية مؤسسة على التملك العقاري ومن الطبقات المتوسطة إلى كافة أفراد الأمة بجمعاء . وثانياً : انتشار نظام التعليم الإلجباري في طول البلاد وعرضها . وثالثاً : زوال دعاوى رجال الكهنوت بعد أن حلت محلها مبرومة غريبة تغفل الآن في كافة أوضاع العقائد الكهنوتية ورموزها ومعابرها . ورابعاً : اعتلاء العلم والروح العلمية في أبنائنا هذه على الأقل ، على عروش الأدب والفن . خامساً وأخيراً : اتساع أفق تصورنا للدولة اتساعاً عظيماً . ويلاحظ الجميع في

طلب استخدام الدولة كل السلطات والواجبات التي في يدها ، وإحدى نتائج هذا التقدم الأخير مرتبطة بالتحول في نظام مجلس الوزارة الذي أشرت إليه ، إذ يقول إلى اتساع الأعمال المصلحية التي يشرف عليها الوزير ، وذلك مما يجعل مهمة المداولة العامة في مختلف الشؤون أشق أداء ، أو مستحيلة التحقيق

المناقشة الدقيقة بده الفلسفي

ومن السهل أن تصور أن توافق الظروف الممتعة للمشاهد ، الخيرة للمفكر ، المثيرة للعادي من الناس والثناء وتلاصقها بهذه الكيفية البارزة ، لا محالة آيل إلى تكوين عناصر تحدث أزمات وما زق يصعب الخروج منها ، إلا أن الخبرة الواسعة التي جنبناها من تاريخنا القرمي ، قد دلتنا على أن أسلم الأشياء مغبة ، وأكثرها سداذا وهدي ، فيما يتعلق بكل الجماعات التي تتكلم بالانجليزية ، أن لا تسارع إلى تصديق عبارة « جون بانيان » — « إن الطوي سيطر على كل شيء في زماننا »

فلتصرع إلى الله أن يهبنا الخلاص من العلو ، وأن يهبنا روح التوازن المصحوب بالحذر التي هي من أهم الصفات الفاضلة بين الحصيف والسخيف ، ويجعل بكل من له يد في بناء المستقبل أن يقف على عتبة كنائس أول عالم يستخدم الطرق العلمية للحكم على الشؤون الاجتماعية إذ يقول مالتوس Malthus عن نفسه ، أن الكاتب يس في حالة من المراج الفكري بحيث يجد الطرق التي تذكر لتحسين حال المجتمع في المستقبل خيالية محضه ، بيد أنه ليس له من قوة التسلط على فكره ما يمكنه من الاعتقاد في كل ما يحيل إليه دون مشاهدة وتحقيق ، أو يتبع عن تصديق ما قد يبدو جافاً بغيضاً ، إذا اقترن البرهان والدليل على صحته . وهذا هو المراج الفكري الذي تأمل نموه وانتشاره في أواسط جامعاتنا .

قبة الخلق العاصي

إن مناقشتنا الحالية للأسباب والنتائج في المسائل الاجتماعية يهيئ لنا مادة شيفة طريفة للتزاع الحزبي والثرأشقي بمصطلح التسفيه الجدلي ، وليس ذلك في موضوعنا ولا هو مجدد لنا ، أو جدير بحث نافذ حصيف في آياتنا هندیبحث عن التقدم في قوة اجتماعية حديثة في الحكم ان لم تكن في الكيف ، وهي ما يسمى التحالف الحديث بين العلم والبحث والصناعة (١)

والآن لا يمكننا أن نسكن عن مدى هذه القوة الجديدة. فإن كل ما تكتبه
 عن عزيمتها، يجب أن يكون مركزه هذه الهبات التعليمية العظيمة أي الجامعات،
 ويجب أن تكون هذه أعضاؤها الرئيسية، وأن روحها الكامنة، وقوتها الروحية،
 هما اللتان يهودنا، وعليهما نسند في سيرنا إلى الأمام، فضلاً عما تقدم لنا من حكمة
 وإرشاد. وقد اعتبر جهازة المؤرخين، الجامعات، إحدى المؤسسات الرئيسية في
 القرون الوسطى، كالحكمة بواسطة المحققين والباحثين الثيائية. وكان ذلك دون تردد،
 فتأثير الجامعات والمدارس العامة التي تغذيها في نظام معاهدنا الأخرى، وسيرها،
 بين هائل. فقد كانت عوامل رئيسية في تكوين السياسيين، المدنية، الدينية، وقد كانت
 أحياناً عوامل للظلام، كما كانت مبعثاً للنور. وكانت أحياناً كذلك، وفي ظروف
 عدة، مراة التعرض الجامد الوثيق، والأوضاع التقليدية الصيانية، وذيول النظم
 الاجتماعية الثيائية، عن أن تكون المنار الوضوء تضيء النور فيها حوطاً، وتضيء هذه الشعلة
 المقدسة: ألا وهي حب الحقائق الجديدة التي لا تبس، البتة، إلا في فضول الشباب.
 وليس من المحتمل أن تفكر جامعاتنا الحديثة لقوة لها مثل هذا المدى الهائل
 والآخر العميق، ولو أن أوضاعها في تحول سريع وقد قيل صدقاً: "إن العالم المعتاد
 هو الذي يحكم العالم دائماً". وهذا القول أكثر صدقاً وصواباً مما يرى الناس، حتى
 في بلاد كبلادنا قل فيها كثيراً نفوذ الأساليب الأرستوقراطية. في حين أن امتيازات
 العالم المتناز في الطبقة الاجتماعية، يجب أن تخضع من الآن للعوامل التي تكونت
 المراجع العالمي، وقوة الحكم ومدى الاهتمام بالشئون العامة في مراكز العلم والتعليم
 بجامعتكم. فإن بث تعاليمها وتزعاتها بما يكسب الجدل في الشئون العامة لونه وطابعه
 الخاص، وسوف يقتل من عدد هؤلاء الذين يدعون أن لهم آراء، وهم في الحقيقة
 خلو منها. ومهمة الجامعات، فضلاً عن تلقين علوم الخاصة، أنها معقل العقل
 والادراك وحصنها الحصين، وأن أعداء العقل الأثام، رغم الأسلحة الجديدة والرموز
 المستحدثة والوجود المستعارة، لهم على ما كانوا عليه في كل زمان ومكان.

وسوف أوفر عليكم تلاوة سجل نقائص الإنسان مما أسهت الكلام فيه آخاء،
 * ومن الأطراف الأمتع أن نحول وجهنا الشطر الآخر، لناحية قوة الإنسان (لا صوب

ضعفه) نحو الانصاف والصراحة ، والهمة والمثابرة والاحسان والزراعة ، في خدمة
الاعراض العامة ، والافدام دون سبق الوهم أو الافتراض ، وكل الصفات النادرة
التي ينقشها الاصداقاء الاوفياء على لوحات قبور اصدقائهم . وأن مدى هذه الصفات
لواسع وحافز للهمم .

ومن الحقائق المفيدة التي يجب أن يحث الشعب على ادراكها ، خصوصاً في ظل
الحكومات الشعبية ، أن الزمن وتحويل الجو السياسي ، يعملان دائماً على التصاق معاني
ومدلولات مختلفة لنفس الآراء والالفاظ القديمة . وقد أننا أن تقدم إلى المعامع
الكلامية ونشترك في الحروب الجذلية ، كما لو كانت الاعلام والشارات التي تقايل في
خلفها . والالفاظ العتيقة التي تتراسق بها ، كل هذه رموز ومدلولات على القضايا القديمة .
وليس ذلك إلا مظهر واحد لوجود هذا الزمن المتغيرة . وقد اسلفت الكلام عن
ضيق مرأى الفكر ومطارد العقل ، وأن بصيرتنا الضيق حفاً لو انفلت التأثير الذي
للظروف الخارجية في شئوننا — من خريفة أوروبا الجديدة — إلى التغيير في توازن
القوى المقاتلة ومحاذي العمل الدولية في لاهاي ، واتجاهات الحركة وقناة باناما وكل
التيارات الغربية التي يساق بعضها بعضاً بسرعة هائلة وسط العالم المتخبط — عوالم
الإنسان الأبيض والأسود والأصفر والأسمر .

التي هي الحياة وتغييرها

يسلم أكثر الناس تعصياً لمبادئهم ، أن من أصعب الصعاب الوصول إلى الحقيقة .
ألا أنا نساهل هل هناك ماهر ادعى لاثارة الغضب أكثر من الرأي السديد ؟ فقد
يكون فيه خراب الصحيفة اليومية ، كما أنه هو الذي يكتب حجة المناقشة ، وقد يقضي
على فرصة التربع في كرسي الوزارة . وأن لم يكن صاحبه حاذقاً فقد يبعث في نفوس المنتخبين
السامية والضجر . وسبب ذلك في غاية البساطة . فالرأي السديد لا يفيد إلا القليل
أولاً يفيد مطلقاً في انهاء الاحمال . وقد قال الحكميم ، هاليفا كس ، Halifax ، من
لا يترك شيئاً للمصادفات لن تزل قدمه إلا في مواطن قليلة . بيد أنه لن يأتي من جديد
إلا بالتذر القليل .

وإذا قال سليمان ، من يفكر في الرياح لن يذو ، ومن يتطلع إلى الغيوم لن يحصد ،
قد يكون الاعتدال أحياناً لفظاً مبالغاً للتردد ، وليس من صفات القاضي المزاج

الحزبي . ويحسن بكل إنسان أن يرى أن لمعظم المسائل وجهين : ولو أنه من دواعي الأسف في هذا العالم العمل أن لاتأكد يوماً ما هو جانب الصواب ، وتظل حبارى مترددين ونحن مفتقرون إلى الرجال ذوي البطولة وشجاعة الرأي ، الذين لا تغلب عنهم آلاف الحقائق إذا تعارضت مع فكرة واحدة راسخة .

والأمم سعيدة ما قامت الفكرة السائدة تستند على ثلاث حقائق أو أربع . لها من الشيعة والوزن أكثر من آلاف هذه الحقائق متجمعة . ويرى بعض النقاد أولى البصيرة أن التاريخ حافل بالثورات البركانية تقذف المهب والحم ، ولا تترك ظاهراً إلا الطغي المتجمدة .

ورأى ، مع الأسف ، لعل دراية تامة بالأسلوب العقلي في الفلسفة . هذا الأسلوب المروج القائم على الغلو ، والذي لا يدع للتصور والتخيل سبيلاً . الأسلوب الذي يشكك في كل عاطفة ويرد على كل التقاليد ، ويتروص في أسس الماضي بل وعلى ما هو قائم على عقيدة الجماعات ، واثقة في حاضرتنا . في حين أن الغلو في التبرم والتضجر ازاء الحركات الفكرية التي قد تسير مع الزمن من نعم وبركات . كقيام النيل المخصصة ، لحوادث كل السحب . وسوف نربط مياه هذا النيفال ، وسوف يبقى لنا محصول يستحق الاعتبار ، حتى للجائين .

ثورة الشريف والصراع الثاني في القانوي

أن النفوس الملهية بالحماس لها ملوى ، مشتركة في عصر طموح وتطلع الى السمو ، وانما لمعرف كل مساوئهم . فلما سرعهم الى الابتداء حيث يجب الاختتام . وتحت تأثير وخبرات التفكير في مساوىء العالم وشروءه ، يخمرهم نيار التبرم الشريف الى الرغبة في دفع هذه الشرور وتخليها وتخفيف وطأتها .

وقبل أن تبحر بهم سفينة الآمال ، يؤكدون لك أنهم قد رأوا نجما جديداً يسبح في سماء افكارهم ، وانهم قد وصلوا حقا الى بر السلام الى أرض الميعاد — ففكرة أو نظرية يفترض صحتها بآدى . ذى بدء وتختصر مستقلة عن كل تجربة وعن كل شواهد وأدلة . يسبل عليها بلا روية جذباب التحدس الذي لا يكسر الا المبادئ المقطوع بصحتها . فالآمال الشريفة والحماسة الفياضة تحمل محل البحث العقلي ، وتمحيص الآراء ، وتراهم يسارعون الى استغلال كل حقيقة وظرف يرونه في مصلحتهم . ويتعاملون عن كل اعتبار

آخر. فتعصبهم للأوهام رائد لهم ، وهم مبالون إلى الغلو ، ويميزان الاعتدال عندهم فاسد .
محتل ، ولو كان معنا بعض ساسة الأحزاب للاحتظار أن في هذا المكان مضطر إلى
الاسهاب في الكلام عن النزاهة السياسية بدرجة التحمس والهوى . ولن يلوموني في
القول بأن بعض مساوي الطرق السياسية مثل التي اشرت اليها — كاحلال الوهم
الشريف محل الاستنتاج الهادي — لغاشية بين المتحمسين من المحافظين نفسها بين
جماعة الخيليين من الأحرار . ولن يختلف معي أحدهما كانت عقيدته الحزبية في القول .
بأن من الحاجات الملحة في عصرنا هذا السعي الحثيث في تنظيم الرأي السلي وتثيقه
بإيجاد صلة أوثق وأمتن بين المثل العليا والحقيقة

وليس في هذه الاعتبارات ما يدعو إلى الأمل والأقدام إلى أن ينقلبوا ضعيفي الفكر
ضعيفي الإيمان ، قليلي التحمس . فالثورة الفرنسية لم تحقق الأغراض التي كانت ترمى
اليها ، وهذا أيضاً شأن حركة الإصلاح الديني . أما المسيحية فمن أشهر الأقوال المأثورة
في القرن الثامن عشر : إن المسيحية جربت وفشلت تجربتها ، وبقي أن نجرب ديانة
المسيح . ولم تبطل هذه القول إلا الآن .

ومازال الكفاح المائيجي — المائيجي — (١) بين الخير والشر ، والخير والآخر ،
يتجدد في أشكال وأوضاع شتى . فلك الأحياء يديون بالمسيحية — منهم ٢٤ مليوناً
من أتباع كنيسة روما و ١٥٠ من البروتستانت و ١٠٠ من أتباع الكنيسة اليونانية .
وبينا اليهود أقل الأديان عدداً (نحواً من عشرة ملايين) فليهم من النفوذ الحائل
في سياسة أوروبا ما لا يتناسب البتة وعددهم .

على أن علاقة المعتقدات بوجود جديدة من المثل الاجتماعية العليا لتقد إلى
كبريات المسائل ، ويمكننا أن نفكر في هذا البحث الطريف وهو : ما نسبة الآراء
التي بها يعيش الناس وهي عمادهم في الحياة ، مع ما يقبلون أن يكون موضع التساؤل
والمناقشة إذا خلوا إلى عقولهم ؟ وكم هي تلك الآراء التي هي موضع التقديس عندهم ،
تعبث بتعصبون لها بكل التعصب وتسمو لديهم فوق كل بحث ؟

وهناك بشارت تبعث على الأمل في أن المزاج الفكري ، الذي له من الاستعداد

(١) المائيجية أو المائيجية هي : ما هي الفكرة التالية للفرنسية القديمة في أن هناك قوى

للخير ومثلها للشر ، أي عبادة الخير والشر عبادة الشمس كمنعصر الفري والخرافات

«ما يدعو إلى تجربة كل شيء» ، والتشكك بنواحي ما ثبت على التجربة والامتحان ،
سوف يسود .

استعمال المثلوات أساس الارتباك

ولئن قصرنا أن نهضم هذه الفكرة السديدة للفيلسوف جون لوك : «إذا أقم أي
إنسان النظر في الأخطاء والثرهات وضروريات الارتباك الغاشية في العالم بسبب سوء
استعمال الألفاظ ، فسيجد بعض السبب يدعو إلى التشكك : هل اللغة كما استعمالها
الإنسان الآن قد أدت إلى تحسين المعارف بين البشر أكثر مما عاقبت تقدمها ؟
وإذا كانت هذه الفكرة بما يدعو إلى التشاؤم في كل زمان ، فكم تبعث قينا من
القلق والحزع في زماننا هذا ، حيث علينا أن تواجه شتى المسائل ؟ وكم يترتب على
سوء استعمال المصطلحات والمثلوات السياسية من الأخطاء والارتباك ، وما يتبعها
من الآراء التي ما هذه المصطلحات إلا رموز لها .

وماذا يكون شأن المحامي في محاكم العدالة إذا ترفع في قضاياها بالألفاظ وأجته مفككه
لا ارتباك فيها ، وتجاهل السوابق التي تنطبق على قضيت ، وأعمل تسلسل القروض
والنتائج ، وسارع إلى المساواة بين المراجع فوجا وضربها بما يجوده خير الناس
يتنا كافيًا كل الكفاية في ميدان السياسة ؟

وهل هناك ميدان آخر غير السياسة ينعجم فيه الأصنام التي أشار إليها Bacon
في وثام وانتلاف — أصنام (١) المسرح والطائفة والسوق والكهف ؟ ومنذ خمس
وعشرين قرنا ندد أحد كبار المؤرخين الاغريق بحول البشر واهمالهم الحقيقة في كلات
تخالده — قال تيوسيديد :

« إن الناس لا يميزون — فهم يقلدون بعضهم بعضاً دون تجربة — وحتى في
المسائل اليومية التي لم تضعف من ذكرها الأيام ، ترى اليونانيين أسرع ما يكونون
جميعاً إلى الزلل . فما أقل ما يجهد الناس أنفسهم سعياً وراء الحقيقة ، وما أكثر ما
يسارعون إلى قبول أول شيء يصادفهم »

(١) هذه الأصنام هي رموز أخرجنا مفكرة بيبكون (وهو من أحد الأذهان التي برزت بين البشر)
فضم المسرح رمز على قوم الضلال الذي يقبل إلى العقل فكان الحقيقة وصمت الطائفة هو التعصب إلى
الجنس أو الطائفة أو القبيلة أو اللغة ، وضم السوق هو الإلهام الغاشية بين السود من أفكار ومضام خلافة
يبورك ظاهراً بهد أن حقيقتها لا تخرج عن الخيالات ، وضم الكهف هو أوهام المعتزلين النفاك الزاحرين
في العالم تجاهلاً للطبيعة الإنسان والبشرية وضعها وتعاليمها يرمون إلى السكبات الخفى

مثل أمريكي

وقد أوردت صحيفة أمريكية مثلاً يوضح تمام الموضوع هذه الملاحظات، فيقول كاتبان عدد المسائل التي هي لزام على الشعب الأمريكي أن يكون له رأى مستنير فيها، مما يعبر الألباب - خذ إحداها ومن أكثرها تشعباً - كيف نعالج مسألة الاحتكارات (Trusts) ؟ كيف السيل إلى تفهم السواد بالضغط مما هي النتائج القانونية والمالية لقرار المحكمة القاضي بحل شركات احتكار الدخان ؟ إذ يرون كبار رجال القانون في خلاف يتناول أساس المسألة

ويسمعون السياسيين يشددون النكير على معارضتهم - ولا يمكن أى إنسان أن يدعى جدياً أن مشاكل إيقاف شركات الاحتكار عند حد، وتنظيم طرق احتكارها، مما هي مقدور ما يقال عليه - حكمة الشعب - التغلب عليه - إذ كل ما في استطاعة الشعب تكوين آراء جليلة وأسخة رسوخ العقائد عن المبادئ الأساسية التي يرتكز عليها الموضوع كله - ويمكن تكوين رأى عام صحيح سديد حول المسائل الأساسية - وهي هل يجب علينا أن نحافظ من التجارة والصناعة على مبدأ المنافسة الحقة، أو هل يجب أن تقوم الدولة بوظيفة الإدماع والاحتكار والإشراف عليها ؟ ومنى حلت هذه النقط الهامة الأولية، فسوف تبتدى القوى التشريعية والتنفيذية، والمحاكم إلى الحل السوى - وهذا مثال من أمريكا ولن يكون من الصعب أن نجد له مثيلاً في بلادنا .

كلمات بسيطة تثار مشاكل عادية

إن الآراء والألفاظ التي تبدو بسيطة ما يكون ثقلها في آخر الأمر أكثر الأمور تشعباً ولو رأيت أى إنسان في شك من أمره فقله تجربة هذه الألفاظ - الحرية والائحاء والمساواة .

وإنه ليكون من حسن الحظ حقاً إذا لم يقف به الأمر عن تبين أن هذه المصطلحات جوفاً لا من التعقيد في الفكرة لا غير ، بل من جهة المعنى والتطبيق . فإنه ولا شك يراها متناقضة الدلائل . وقد قال لنا خير القادة إن الحرية ما هي تعريف . وقد قال لي لنكون - Lincoln - أثناء الحرب الأمريكية : لم يأت للعالم حتى الآن تعريف صالح للفظه ، الحرية ، بيد أن الشعب الأمريكي الآن بحاجة إلى هذا التعريف

القويم . وكلنا بنشد الحرية وينادي بها . إنما في استخدام اللفظ الواحد لآزيم أو معنى واحد وشيء واحد . وإذا افترضنا أن لفظة « الحرية » قد تنصرف إلى فعل كل إنسان ما يشتهي فيما بينه وبين نفسه ونتاج عمله . وقد تقول عند البعض الآخر بأنهم أحرار في التصرف مع الغير وفي ثمار أعمال هؤلاء كما يشاؤون . . . ولز نفسي سر يعا قول « كافور » Cavour التاريخي « الكنيسة الحرة في الدولة الحرة » .

فهل هناك أسهل من هذه العبارة وافضلها إلى الفكر وأجل رينا منها وأطرب صدى في أذن السياسي ؟

غير أن هذه العبارة بعينها كثيراً ما كانت مبدأ لارتفاع أصوات متنافرة ومنافرات من الجدل المستحكم المطرد المتواصل ، وظائفة رفات من النزاع حادة غير متألقة والحادثة التاريخية التي تم بها إنشاء مملكة إيطاليا وروما عاصمة لها ، لأجل شأن وأعظم خطراً ، من أن تنحصر في نطاق قاعدة سياسية واحدة . وليس من السفة أن نصمم بأنها أهم حقيقة ظهرت في تاريخ أوربا لمدة قرنين أي منذ صلح « وستفاليا » وهدنة الحادئين الحليين (أي تشييد مملكة إيطاليا وصلاح « وستفاليا ») وجه واحد ذي أهمية كبرى . فكلاهما غاية تغير هام ونجول لا يمتحى في حياة الدول والكنائس على حد سوى . وقد أثر كلاهما في نظام العلاقات بين السلطين ، السياسية والروحية ، بحيث شبرا من أسسهما ، وجددا من أنظمتها ، فسكانت خاتمة نظام القرون الوسطى . في حين أنه مازالت ثمة حلقات ثقيلة باقية من السلاسل المخططة تحيط كالنير بركة الحكم المحررين .

الحرية الدينية

وان أقرب العبارات لنا وأكثرها حيوية في مناقشات هذا الزمن ، لحرية الحرية الدينية . فهي مسألة مضطربة الأوار في فرنسا وإيطاليا في أيرلندا وإيقوسيا ، وحتى في انكلترا لم تحب نازها تماماً حتى تنقلب رمادا في جوف التاريخ ، ومع كثرة تداول هذا اللفظ بيننا ، فإنه يشمل معاني مختلفة تمام الاختلاف في مبناها ومدلولها وقد احدى ، ليون الثالث عشر ، إلى اثنين منها في حرية الضمير ، أحدها حرية الفرد في اتباع أوامر الله ، والآخر حرية تحديد الألا شارات الألية حسب تصوره وأدراكه وهداه واختياره .

لأحيانا تدل الحرية الدينية على الحرية غير المقيدة في التعبير عن الآراء والمناقشة بها في المسائل الكهنوتية واسسها، كحقائق مسطورة. وتفسيراتها للمعتقدات الراسخة ونافقها وانساقها أو تناقضها وعدم توافقها تماما مع المعايير والاقيسة المسلم بها في دائرة العلوم الإلحادية والنقد الجريء، اللذين يتسع نطاقهما كل يوم. وأحيانا تدل على ادعاء هيئة لاهوتية حتى فرض قواعد الزواج والتعليم والاجتماع لأحياء الشعائر الدينية، وغير ذلك مما يختار رؤساء الكهنوت فرضه على المخلصين والمنطوعين من الاعضاء والأتباع دون اعتبار للزعات الاجتماعية المتغلغلة في الإنسان، أو مقتضيات الدولة. وهل ينتك مبدء الحرية السياسية حين يمنع البوليس موكبا من الكاثوليك من المرور في شوارع «سنمستر» ؟ أو حين يطرد جمعا من الرهبان أو الراهبات من الفرنسيين ؟ أو حين تقر محكمة انكليزية (كما حصل منذ سنوات قليلة) إلغاء وقف على جمعية تعنى آراء مخالفة للسيحية ؟ وما رأيك في القوانين الشديدة والقرارات الصارمة التي لا تحيد عنها، والتي اتخذت في العالمين القديم والجديد، مدى قرن ونصف ضد جماعة الجزويت المبينة. وقد كان الاغريق وبعض الشعوب الأخرى، في القرنين السابع والثامن، مفرجين في كفاحهم ضد السلطة العليا المتحكمة، بالاشجاء الى المصطلحات الدينية، مما توحى به الضغائن السياسية والطائفية. ولم تقطع بعض الجماعات ذات المدينة الراقية، التي لا تبعد عنا أكثر من الاسنانة، عن اساءة استعمال هذه المدلولات. غير انه يمكننا القول، عن انصاف وبعد عن كل غلو وزهو، أننا في نظامنا الحكومي على الأقل، قد وصلنا في جيل واحد الى تغلغل قانون السامح في أنظمتنا وسريانه لائق قوانيننا ومحاكمتنا لا غير، بل اشربت به عاداتنا، ومألوفنا، وسبل تفكيرنا العادية. ولم يكن ذلك التحول ثمره عدم المبالاة والتشكك وانتفاء العقيدة، بل هو أحد حركات التطور العميق الضامت، التي تجعل التاريخ محتملا غير مملول

استعمال الحكومة

وفي الميدان الشاسع للمسائل المتصلة بأشكال الحكومة، تتوارد أكثر المصطلحات شيوعا في اضطراب وإبهام. وقد كتب «السر جورج لويس» وزير المالية سنة ١٨٥٧ ومن أعلم الرجال الذين أسندت اليهم هذه الوظيفة، رسالة صغيرة فيما يسماه استخدام المدلولات السياسية وسوء استعمالها. والحق يقال انه لم يشع علينا من

نور الهداية اكثر مما اوصلنا اليه حوار اشرافي فارس السج قبل المسيح بخمسة قرون.
 (هيروdot - الكتاب الثالث) وما في هذا الحوار درس يبدأ بأسئلة عن التقسيم
 الدقيق لاشكال الجمهورية والملكية . حيث يكون لاغلبية الذكور تأثير قانون مباشر
 في تكون الهيئة السائدة في الامة . هناك الديموقراطية . فان لم يكن لهذه الاغلبية
 خود قانوني مباشر ، فهناك الارستقراطية . وهل الديموقراطية هي النظام الذي يقتضاه
 حكم الاكثرية . او كما افتر من ارسطو هي النظام الذي فيه يحكم الفقراء ؟ او هل يكفي ان
 نوجز ونختصر ونعمل الديموقراطية على انها نظام يفتح امام اول المواهب السلي
 ورجي . فم طرق الحياة و غير ذلك من مفرحات التعريف العامة والمصطلحات المحكية
 التي لا روابط بينها ، بل هي غير قابلة للتطبيق . فضلا عن انها حلقات السلاسل
 قيد الناس في طرق من التفكير لا تستند الى المنطق . كما لو كانت نصف ضرور
 العالم لا تحدث من تلك المفادمة التي لا سبيل الى شفاها منها ، وهي اتحاد الحققة
 والاصطلاح عليها . بل لافن من مخدونا وفكرة معينة قد استمرافظ (سوسيو كراسي)
 الى حكم الجماعة منذ زمن لويس . يدان هذا الخلط المركب من القبط الذي يستدل
 به احيانا على التوافق المتكوك فيما بين النظام لطاق الديموقراطيين والارستقراطية
 (حكم الاكثرية) لم يناظم في ياتنا الفكرية بعد .

وقد وصفوا الجمعية الحاكمة عندنا بانها ام المجلس السياسية . وهذا التشبيها يثير فينا
 الصغر القوي الحق . يد ان الدوائر في السلطة ومنع هذه السلطة بين الاعمل والقروم ،
 تعجب جميع اوجه الشبه . خذ مجلس العموم مثلا . هناك من كتاب الطراز الاول
 من يتكلم على مداولاته وقراراته ويمون اعضائه واميازات . لطة خلال الحرب مع
 مستعراتنا الامريكه او عند نابليون : كما لو كان هذا المجلس مدة هذين الحادتين
 انار يحين الجليلين ، هو نفس مجلس العموم الذي يحكمنا الآن - أي انه منتخب
 باصوات الشعب . والحقيقة ان اعضاءه كانوا مرشحي عدد من الاشراف ذوي
 الاميازات السياسية لا يربطون على اصابع اليد عدا .

الغراب والبستاني

(عن الجزء الأول من ديوانه وحى العام ، للدكتور أبي شادي الذي نشره قريباً
دار المصور ، هو الترجمه الانجليزية من نظم الاديب النابغة الاستاذ محمد قدي عبدالله مصطفي)



(١)

إني لا أذكر قفلاً مُرِدَّتْ به ^{بغيره} لُكَّةٌ في حَظِّ بستانِي
يهوى الجمال ، ويعجز ^{بغيره} هياكله وإن تنوع في شكلٍ واللوان
ما كان يؤثر منه بظهور ^{بغيره} أيدى بل كان يعشيق روعة الساني
كل المظاهر كانت عنده شرعاً وحيه هو صنو النور روحاني
لكم قنينة زهرة بسمت كأنما هي تجمع الحسن في آن
فصار يعني بها من عهد نشأتها وزاد عمراً طسا من برق الخاني
وخمسها بأغانيه ومهجته في اليأس والعسر ، في صفو وأشجان
وغاب عنها ولما عاد في شفق وكأه خشية من بغيره الجاني
قال الغراب له : لا تخش سقطتها فقد تجد مثلك عرفاناً لا إحسان
انظر إليها ، تجد عالم نزل ملكاً في عالم الزهر ، قد خصت بتيجان
فراح يشكر هذا الود مقتبلاً وأم زهرته في شوق جبة لأن
فلم يجد عند رؤياها سوى شبح قد شوهته جنايات الغربان !

(७)

THE CROW AND THE GARDENER.

An Allegory

An artist I verily remember,
Whose lot was that of a blest gard'ner.

With love of Beauty him did the Muse
Instil and enchant with her forms and hues.

This shape or that design should she take,
His love, light-begot, never did shake.

Once charmed was he by a blooming bud,
Which he with tender care did fain tend,

Until a flower did she become
And smile and shine in fragrance wholesome.

Of her radiant grace he sang and thought
In times of joy, grief, plenty and naught;

Yet was he doomed by absence to part
From the adored concern of his heart,

And when he with yearning did return,
His exalted symbol to discern,

A crow, to him obliged for favours,
Him on the way did meet with murmurs

And unto him did say earnestly : —
„Thy flower have I treated kindly,

Thou wilt anon behold her a queen
Crowned in a halo of lustrous sheen.”

Deluded by the crow's sham saying,
To the flower goeth hastening

The Gardener, her to find defiled
By the mischiefs of crows fierce and wild.

رد مفتوح

إلى اسماعيل مظهر محرر : مجلة العصور

التد كالد والنظير مثيل . والسؤال يجوز من أي كاتب أو أي كان ، وحرية الفكر لا تحظر الأديان ، وآداب الصحافة لا توافق على مثل ذلك

قد تلطفتم بنشر كتابي المقترح (المرسل إليكم) في عدد ٢٩ من مجلتكم وبردكم القيم عليه مطولا في عدد ٢٢ منها وبعد أن كنت سائلا جعلتموني مناظرا وخاطبتوني خطاب التذليل فشكرا جزلا لكم

ولقد أساءني وآلمني كما يسوء كل مسيحي وكل مسلم أيضا ما احتوت مقالة الألحاد والتي نشرت في عدد ٢٩ من (مجلتكم) من الطعن والتحقير في الكتب المقدسة لذلك انتقدت ذلك التحقير وليس لي أن تعدت أو عارضت حرية الفكر كما نسيت إلى

٦ - سبب السؤال

وحيث أن شعار المجلة المصدرة به هو : انتقادية في الأدب والعلم والسياسة فقط ، لا في الدين ، أرسلت كتابي المقترح إليكم لأنكم حدثتم عن ذلك الشعار ، وكان المنتظر من حضرتكم كعظم يعتبر هذه الكتب أن لا تنشروا مقالة كهذه لما تحويه من مطاعن الملحدين في الكتب المنزلة منه تعالى وبأفواه أنبيائه الكرام ، بل أن تراعوا شعور مئات الملايين الذين يعتقدون صحتها من يهود ونصارى ومسلمين

وقلت إن حق الانتقاد بحسب عنوان المجلة و انتقادية ، هو لما يعرض عليها من المؤلفات أو تهدي إليها وليس لنشر مطاعن رئيس جبهة نشر الألحاد في الكتب الدينية ، إلا فلتزد المجلة على شعارها بعدد : الأدب والعلم والسياسة كلية ، والدين ، أيضا وقد اتضح من ردكم على كتابي بأنكم مسلمون يؤمنون بالله ويحمده تعالى على ذلك ومن كان مسلما لا ينتظر منه أن يجهد الألحاد بحرية فكره وينشر مقالات ضد الدين

وشرائعه الآطية. وإذا فعل مثل ذلك يكون جامع الضدين الدين والالحاد معاً كما يجتمع
النور والظلمة والحق والباطل ، وهذا لو أمكن يعد مقدرة عظيمة لفاعله

٢ - خطأ حداد عندكم

إذا راجعتم كتابي المفتوح اليكم بشأن تجدون أنني لم أخطئ بقولي فيه كما
تصورتم . فقلت : من يطالع المقالة ولا يجد تعليقاً عليها منكم ولا بكلمة تعارض
فحواها يظن حالاً بأنكم على رأي كاتبها ومن دعاة الحاد . فهل أنتم على مبدأ
هذا الملحد ومن دعاة الإلحاد حتى تترجموها بدون تعليق أو انكم بشرها حسب القول
« ناقل الكفر ليس بكافر » فتلفظوا بالافادة على صفحات مجلتكم الغراء بكلمة صريحة
وهذه الخطيئة الكبرى التي صدرت مني فعمدتموها وحسبتم أنها : من روح
التعصب القديمة ظهرت على يد النفس حداد والجليلة . وقلت : يظن بأنكم وليس لي
أو كد أنكم الخ . إلا يظن هكذا كل من يقرأها غيري . وعلى فرض أنني غلطت
بقولي يظن وإن الحق لا يظن هكذا . فكان يكفي أنكم تجاوبوني بحسبكم بنعم أو لا .
أو بأن هذا الظن ليس بحجة وأما حر فاشتر ما أنى ولا حرج على . وليس لك بالحداد
أن نسألك هكذا . وحينئذ أعرف أنه لا معنى واشتذر لكم إن كان السؤال
إساءة اليكم

و كيف نسمع أو نقرأ كلام الطعن والخرم بالكتب المقدسة والتحقيق بصعود
السيد المسيح بقول ملحد ينشر في مجلة رافية وهو جسد يختفي في الجوار لو ٢٤ : ٥٠ .
أسأل أحد القائلين أو لنسبرج ابن مقرة (ويالها من وقاحة) ولا تغار و تتفقد نشر
ذلك الخرم . وإن كان على لسان ملحد غير محرر المجلة الذي نشره . ومن البدهي أن
من أنكر صعود المسيح إلى السماء فقد أنكر صعود غيره من الأنبياء مثل
أنخوخ وإيل وعراج النبي من التسمية أيضاً

وما يصدق من التكذيب على صعود المسيح يصدق على صعود غيره . ولا
واحد من المسلمين يسلم بذلك أو لا يغار ويغتاظ إذا سمع أو قرأ مثل ذلك الطعن .
ولا ملامة على إذا قرأت تلك المقالة في ١٠ صفحات من المجلة وكلها مطاعن
وسألتكم ذلك السؤال الذي أغافلكم ، حالياً جوابكم صريحاً بحرية الفكر والضمير .

حيث يظن كما تقدم أنه لولا مراقبتكم عليها لما تشرعوها وفيها ما فيها من التحقير ولو كنتم غير موافقين لعلقتم عليها رأيكم بمعارضتها . أو تمتعتم عن نشرها . لكنكم حنفت من السؤال وأجبت بحدة كما ظهر منه التوهم والاستخفاف على النفس حياء ولم تترفقوا به

والدين الاسلامي عند ظهور صاحب الشريعة الاسلامية قام لازالة الكفر والالحاد وعبادة الاصنام (١) . ولا رجاء للناس الى عبادة الله والايمان به . ولم يزل لا يسمح بشيء من مثل ذلك الالحاد ويندبه . والا لما صار مسلمون يؤمنون بالله والقرآن الكريم والتوراة والانجيل بل بقي الناس في الجاهلية والوثنية والكفر ومعلوم ان كل المؤمنين بالله يقاومون الالحاد ولا يوافقون مبدأه ويدافعون عن الدين . ولا يحسب ذلك تعدياً منهم ولا تعصباً كما نسبتم الى

ولو اني كنت البادي بالافتراء على الملحدين وعلى ناشري الخادهم لاصح ان ينسب الى التعصب ولكني كنت سائلاً ودافعاً هجوم اعداء الدين . والالحاد هو ضد الدين الاسلامي كما هو ضد الدين المسيحي . والسؤال أيها المحترم يجوز تقديمه من أي كان والى أيه كان . وحرية الفكر لا تمنع حرية السائل أيضاً لأن السائل له حق حرية الفكر . وهكذا تمسكتموا بان التجديوا على السؤال بعم أولاً بصراحة

— ٣ — الخدم المقصود

من المؤكد ان الكتب المقدسة هي كالاساس للقرآن الكريم الذي اقتبس منها وبشده لما لانها أنزلت قبله . واذا انتقض الاساس أو تخلخل فلا يثبت البناء فوقه . وهكذا فاذا نقضت هذه الكتب بحجة كهذه من دعاة الملحدين أو من نشر الخادهم لا يثبت القرآن دونها بل ينقض بحجة أخرى عليه من أولئك أو ضمناً وبالبيعة دون حجة عليه لانه كالكتب المقدسة . وكل مسلم نظيركم يوافقني على ذلك ولا يرضى بأقل اساءة لهذه الكتب المنزلة جميعها اذا كان مخلصاً لدينه

ولا يوافق أن يكون الانسان مسلماً موصفاً بالله في داخله ومما أنزل من الله ويحسن الالحاد ويغالب في مدحه وهو ضد دينه وشعبه . ولا ان يكون مستريح

الضمير في داخله بالاحقاد ويتظاهر بالدين فيكون جباناً ومراثياً بل الأفضل له أن يكون
مظهراً كباطنه علانية وجهاراً ولا خوف ولا خجل

— ٤ — التشكي من حداد

قد طالعت ردكم فوجدت كثيراً من تظلماً مني وتشكياً على
كذب لواء اليكم بذنوب عظيم لائكم توجهون كلامكم لغيري وتشيدون
إلى بالغيبة (أي كغائب) وكان يلزم على فرض أنني أخطأت اليكم بذلك السؤال
أن تظهروا خطئي ولا تعاملوني بما تفضلتم به من التهم والهزم مثل : وماذا يعمل
الفس حداد . وماذا يعني النفس حداد . إلى غير ذلك . وتخطبون غيري كظالمين
من دون وجهكم كلامكم بذلك ؟ فكثاني المفتوح اليكم والجواب على سؤال يكون
منكم إلى . وإن كان السؤال ثقيلًا كما حسبتموه لكن لي عذراً بأن أغار على الكتب
المقدسة التي أجلتها وأؤمن بصدقها لسبب ما أحتوت تلك المقالة الطاعنة من التكب
التحير والاستعزاء فيها وفي السيد المسيح أيضاً .

— ٥ — حرية الانتقاد

إن كنتم خولتم أنفسكم حرية الانتقاد ونشرت من انتقاد ملحد مخالفين شعائر المجلة
حسب حرية فكركم . فكذلك يحق لغيركم أن ينتقد تلك المقالة ونشرها ويسأل لماذا
نشرت ما لا ينشره مؤمن بالله وبالكتب المقدسة المأثورة منه . ولم تناقضوها كسالمين
أو تبريدوها بالمواقفة على صحتها بمجاهرة وصراحة .

لكن السؤال كان هكذا صمياً على مسامعكم فاعتظمت وكتبتم ما كتبتم في
ردكم من الاستخفاف والهزم بالنقاد بل بالسائل . وكأنه يصعب كثيراً على الناقد
المستقل أن ينتقد من الغير . فلذلك يحق وشككم ويكتب منوجعاً من الانتقاد
عليه . ويحكم لنفسه كمن له إرادة سنية لا تعارض وهو مقدس غير مسؤول .

إنما قد مضى عصر الاستبداد في جميع الشعوب الراقية وغيرها وصار في خيبر
كان . ونحن حمداً لله قد صرنا في عصر الحرية الراقية . وحقا كما يقال : إن
الحقيقة تخرج .

وهكذا قد ظهر براءكم على كتابي المفتوح انكم تدعون العصبة فيما نشرتم أولا
وفيا رددتهم بعد سؤال مستندين على حرية الفكر كمن لا يغلط ولو كانت المقالة
عند الدين المسيحي والاسلامي أيضا الذي أتم من اتباعه . ولكن جل من لا يغلط
وحده والتشيت بالغلط غلط أكبر . . ومن قال لا أغلط في أمر جرى فانهية
أول غلطة ترى . .

٦ - الاحتمار

وقد اتضح من ردكم انكم احتمرتم الانتقاد بحسب حرية الفكر لكم فقط
ولا حصة ولو قليلة منه لغيركم . فتتقدون وتكتبون كما تشاءون . وكان الانسان
قد أعطاكم ذلك الحق وحدكم . واذا انتقد أحد فالويل له فتلقونه بسهام الاستهزاء
والتهكم . وتخيغونه بالنهويل والتطويل . وتحكون عليه وهو بريء . بأحكام ما أنزل
الله بها من سلطان (إلا لكم) . وليس هذا من شعائر الرقي والتقدم الصحيح الذي
تشوقون اليه في كتاباتكم نالقاتكم القبيحة وترجماتكم الخيرة للقول البشرية .

وتعلمون أن الحرية لا تخرج اجسامات الآخرين بدون داع وحرية الفكر لها
حدود لا تتخطاها . وإذا تخطتها لا تبقى حرية بل تكون استبدادا وظلما وتعديا
على حقوق الغير وعلى حريتهم . ولا تجوز لصاحبها المسلم الحر أن يوافق ملحدين
يذلون الواسع لابطال كتب سماوية محترمة ومقبولة عنده وعند الشعوب اليهودية
والمسيحية والاسلامية ومعقول بها في مئات القرون . أي كل منهم يحترم ما يخصه
من تلك الكتب . والفضيلة هي بين رذيلتين الافراط والتفريط وإذا تعدى على حقوق
الغير بالظلم والتحقير بالقول أو بالعمل لا تبقى فضيلة (بل رذيلة)

٧ - الاعتداد بالنفس

تقولون في ردكم : ها نحن عرضنا لنقد هذه الكتب فإذا يريد النفس حداذا أن
يفعل ؟ وماذا في استطاعته أن يفعل ؟ ولكن النفس حدا هو المتكلم لا كدنيا لا
من كراثة محاكم التفتيش ولا رجلا من رجال مجمع الفهرست . . لقد نشرنا هذا المقال
من غير أن نعلق عليه ويمكننا أن نعيد نشره مرة أخرى من غير أن نعلق عليه أيضا
بل وفي استطاعتنا أن نترجم كل كتب جمعية نشر الاتحاد الامريكية ونوزعها بأنفسنا

وتحت أعين النفس حداد ومن هم على شاكلته . ومن هم على أكثر من شاكلته . وليفعل
النفس حداد بعد ذلك ما يشاء . . . اليس هذا إقراراً على أنه توجد غاية وقصد عندكم
بما نشرتم ؟

يرافق III وهذه رجولة ومقدرة بحجية ويا لها من براعة مفتعة وباهرة . وكم هو
محبوب اسم النفس حداد لديكم حتى تذكروه كثيراً وحققاً . من أحب شيئاً أكثر من
ذكره ، فاشكركم كثيراً على ذلك

والجواب المقدر من سؤالاتكم هذه ، ماذا يفعل حداد وليفعل ما يشاء الخ . . في
جمل تكررت في ردكم مراراً أنه لا يفعل شيئاً . لأنه عاجز وضعيف لا يستطيع الرد
على هذه الحجج القاطعة أو يقاوم حاكماً بالمرء يفعل ما يشاء ويريد . وكأنه بقوته
يمتدحرباً في حرب القوى مع الضعيف . نعم حداد لا يفعل شيئاً ولا سلطنة له أو قوة
ليفعل . وهذا حق واسلم به لاني لست باستعدادكم للمناظرة والردود . ولكن آداب
الصحافة تفعل ومكارم الاخلاق لايجوز التحقير والعلم الصحيح لا يكون موصلاً
الجزء والمذمات

وكذا فالنفس حداد لا يعلن حرباً عليكم ولا يستطيع ذلك ومهما نسبتم اليه او
افكرتم عنه او تيكتم لا ينافي منكم . بل يعلن الصلح معكم والصداقة ولا سيما بعد
ان عرفكم ذلك كما اتم واطلع على مقدراتكم والاخلاق الراقية فيكم ذوه

— د — التعصب

اما مسيحي اغار للدين وادافع عنه كما يجب على وعظيكم كسلم ولا اعاب على بذلك .
وارفض نظرية الاتحاد وما شاكلها بحرية ضميري وافكاري . . ولا حياة في الدين .
دعوتوني منعصماً وهذا كل ما قدرتم ان تقولوا . فلا بأس لان التعصب ليس بحرية
افترفتها . انما يوجد فرق عظيم بين التعصب للدين من اتباعه وبين التعصب للاتحاد
من المسلم المؤمن بالله فظنركم والذي يحمد الله لانه مسلم . فانا أنعصب لنفسي في ديني
وانتم تعصبون أكثر للملحدين في الاتحاد بعد ما نشرتم لهم تلك المقالة التي ايجبتكم كثيراً
وترددون النقاد . . وماذا يفعل حداد .

واذا كنت بالفرض منعصماً للكسب الفاسدة والدين فاني لا ارفض حرية

الفكر مطلقاً كما تظنون في بل احبذها مثلكم اذا لم يكن اكثر . ولا اوافق قطعياً على
حسك حرية احد واغتصابه في امور الدين الذي علاقه بين الانسان وبين الله فقط .
ولا اجبر ملجداً بدين لاني اعلم ان لا احد يطالب بغيره امام الله الديان العادل بل
كل يطالب نفسه في يوم الدين الرهيب والموقف الخيف الذي لا ينفع فيه الحاد
ولا كافر ولا حرية فكر ولا مال ولا بنون ولا سماء ولا رتب ولا صحافة ولا محاماة
الخ . ولا اكراه في الدين .

— ٩ — التعارف بيننا

حيث قد نسيت الى ما انا براء منه وتوهمتم بما ليس في قاعليكم من انا
انا القس اسكندر حداد (كذا) بنعمة الله (كما اضيت كتابي المفتوح) من افراد
الكنيسة الانجيلية القسوسية سوري المولد فلسطين النجعة حالياً واست من رؤساء الكنائس
ولا قاضياً من قضاء محاكم القسيس كما قلتم نيكولا من اصحاب الحكم عليكم مع علمكم بان
لا محاكم كهذه الآن ولا انا من قضائها ولا اثم روت سنت لها كرامتها ولا خوف عليكم
من ذلك أبداً . ومع ذلك تردديون مثالا من احكامها على سبيل الاستهزاء في ردكم
وبالحق لو كان توجد محاكم وقضاة له حكم عليكم لما نشرتم في مجلتكم احتقار المسيح
وبطلان الكتب المقدسة مطلقاً . وايرادكم ذلك المثال هو هزم بالسائل وبالمثل .
ولا دخل لمحاكم القسيس واحكامها الآن بيننا . ولا يخطر على البال اني اطلب
محاكمكم او تظنون بذلك . وكنا في سؤال وجواب لا اكثر . ولم نزل في ذلك
السؤال بدون جواب صريح منكم . ولا يكفي التهرب ولا يقيد القرار من الجواب
ولست مطرانا ولا كردينا من رؤساء الكنائس الذين اشترتم اليهم في ردكم
وتصرحون بانى لست منهم وتحمدوني الله على ذلك ولكنكم تخاطبوني بصاحب
نفاة نيكولا فاشكر لكم لطفكم على هذا اللقب الوهمي الذي اوليتموني اياه من
فضلكم وانا لا استحقه ولا اريده قط ولا أقول ياليتني اكون هكذا . فقول
كل ما ياتيك من المحبوب محبوب .

ولست أيضاً من الذين اشترتم اليهم استخفافاً بهم بقبولهم سخافات وبيهم غفراوات
وتمسكهم بخرافات ونعالم باطلة قد ادخلها رؤساء الاديان المختلفة لما رب شخصية

ومنافع مادية ولتغريين ورياسة وسيادة . بل أقول بطلانها ولا أسلم إلا بأقوال الله
حسب الوحي الإلهي لانيائه الملهمين ورسله المكرمين

حضرتكم

أنتم حضرة اسمعيل بك مظهر من أهالي مصر الكاتب الاجتماعي الفذ والمؤلف
البارع الشهير . والمترجم كتب داروين في النشوء والارتقاء وأصل الأنواع المشهور
له بطول الباع وسعة العلم والمعارف . والعصرى الحر الفكر المتساهل حتى مع الملحدين
يبدتهم كما أوشحتم في النشر والرد . إلا من يعارض بشئ - مثل القس حداد فتناظرون
منه وترشقونه كأنه استحق الرجم لأنه نقرأ على سؤالكم

أنتم مسلم محمد الله على أنه مسلم ولكنه يمدح الاتحاد ويعبده وينشر مقالاته
السمجة ويحامي عنه كأقرب محام . ولذلك يكون متعصباً أكثر مني ولكن للاتحاد
كما ينسب إلى التعصب للدين

وأمر مستغرب كيف يكون الإنسان مسلماً حقاً ويحمد الله لأنه كذلك ويعبده
الاتحاد . ويساعد على نشر مقالاته وفي هجماته على كتب مقدسة . وإذا اعترض أحد
الدينين يقوم عليه بحجة جديدة والاستحقاق

٩ - سعادة الملحد

قلتم في ردكم . فاقول القس حداد في أن الملحد الذي يلحد عن إيمان وعقيدة
ينال من هدوء النفس ما ينال المؤمن المسلم بكل شيء . تسليم إيمان ... فلماذا لا يكون
الاتحاد بدوره ديناً ككل الأديان ولماذا يستحق الملحدون احتقار القس حداد
وأمثاله . وقد يجوز أن يكونوا أكثر اطمئناناً وسعادة بالخادهم من القس حداد بإيمانه .
وهذا استنتاج عظيم . ومعنى احتقار القس حداد الملحدين أمامكم . ومن افترى
أولاً . وما هو إيمان الملحد ولماذا يؤمن بغير ما يشاهد عياناً ؟ وهذا ليس بإيمان ولا
عقيدة . ولا يكون الاتحاد ديناً وهو عدم الدين وهكذا فلا نتكر أنه يجوز أن يكون
الملحدون في اطمئنان وسعادة بالخادهم أكثر منا كما تفضلتم . وكذا فالحيوانات
باطمئنان كلي أيضاً والجمائن أيضاً . وغير خفي على حضرتكم أن الخمر والحشيش والخدرات
تذل شاربيها لذة وكيفاً وسعادة أيضاً ولكن كله وفي بعض الساعات دون غيرها

وفي حياتهم الحاضرة فقط. وهيتاً هؤلاء الملحدين بهذه السعادة التي يعقبها الموت والعذاب. وتكون النعمة أفضل لهم منها حين يقفون أمام الدين العادل الذي كفروا به للحاجة. وهذا رأينا بحسب اعتقادنا ولا نلزم أحداً به. . . وويل للكافرين من عذاب شديد الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل الله ويغونها عوجاً أولئك في ضلال بعيد. سورة إبراهيم. وفي الدين وسعد راحة الفكر وطمانينة النفس وسلام القلب دائماً في الدنيا والآخرة

١٠ - ثبات الكتب المقدسة

قد أعجبتكم مقالة الاتحاد، الكتب المقدسة في الميزان ففشرتوها في عدده ١ : مارس سنة ٢٩ من المجلة وقلمت في ردكم، لخصنا فيه آراء شارلس سميت ونيس جمعية نشر الاتحاد في أميركا. وماذا يعني القس حداد أن يكون للمجلة جولة في أصوات حرة نقول الدين في أطرافها أو أن تكون مجلة ملحدة لا تؤمن بشيء. . . أقول ظنتم أن تحصل فوائد جمة للقراء منها، ولنتلك لخصتموها فيملأت منقوشة بعد تلخيصها في عشر صفحات بقطع المجلة الكبير ويحرف صغير في تلك الجولة وكلها طعن. وكيف لوجالت المجلة جولات عدة. لكن المقالة بتوقيع بيل البيكون مترجمها من سانبلو. وليس بتلخيص محرز المجلة القصور القراء

ولم يعرف كم صفحة كانت المقالة لو نشرت بدون تلخيص. ولا بد كانت المنافع منها أكثر لخدمة الإنسانية وفائدة القراء من النشء العصري. وياويل الأديان وأصحابها إذ ذاك. ولكنكم ترفقتم وخففتهم الوخاة عليهم بهذا التلخيص إذ قلت الأضرار بنوع ما في هذه الكتب المقدسة التي اعترض عليها كثيراً منذ انزاطها إلى الآن ولم يزل يعترض عليها أيضاً من ملحدين وطيبيين وغيرهم. ولكن لم يحصل لها أقل تزعم بل هي ثابتة كالصخر المتين ومقبولة ومنقشرة في كل لغات العالم الكثيرة وفي جميع عمالك الأرض. وتوزع النسخ منها بالملايين سنوياً.

وقد امتدى بها ألوف الملايين من البشر واستقاروا وتجددوا ورجعوا عن الشرور والوزايل إلى حياة التقوى والفضيلة والصلاح والأخلاق الفضلى وتطهروا من ذئاب عاطفة إلى حلال وديعة. ولم يعمل الاتحاد وأصحابه أقل شيء من القوائد الحسنة في قل أظروا وفي جمعياته منذ القديم ولحد الآن

— ١١ — رجال الدين

رجال الدين هم الذين حفظوا الكتب العلمية في الأجيال الماضية وحافظوا على العلوم والفنون ، والفلاسفة الذين أخذت الفلسفة عنهم من اليونان وغيرها ما كانوا ملحدين ويلا دين ومعبودات الامم ندر منهم

ولو لا الأديان الالهية لما انتشرت العلوم في البلدان العديدة قبل ولا افتحت المدارس وتشييدت المعاهد والكليات والجامعات والملاهي الخ ، ولما ارتقى الغرب من الضحكة ، ولا تخلص الشرق من نير الوثنية الثقيل ولبقى الجميع في الجهل والغبوة والدين هو الذي فعل فر في المجتمعات البشرية ولم يزل يفعل ، وتعلمون كيف كانت حالة العرب وأفريقيا قبل انتشار الدين الاسلامي ، وكيف كانت همجية الغرب قبل اعتناق شعوبه الدين المسيحي ، الدين هو سبب الحضارة الحقة والثقافة العظمى والمدن الصحيح ، ولكن جزاءه من الملحدون والعلماء العصريين الذين تخرجوا من كلياته وجامعاته نكران الجليل ، ورحم الله من قال بعد تعليمه

وكم علتكم نظم القوافي ، فلما قل فافقه هجائي

وفي جواب أحد الأسئلة قلتم ، فاهو دخل الدين في النظام الاجتماعي ، ولكني تريد هذا القول بالمساعدة تدعو النفس حداذا أن يذهب الى جزائر تايتي أو جزائر أرحس النار أو مجاهل استراليا ليرى بعيني رأسه أقواما لا دين لهم على وجه القريب ومع قل هذا قل لهم من القوانين (العادات) ما يقوم عليه نظامهم الاجتماعي .

أقول ان هؤلاء لا يحسبون ملحدين ولا يفهمون ماهر الالحاد ، وليسوا يلا دين بالكلية . والانسان بالقطرة ديني حتى ان البرابرة لهم دين بحسب معرفتهم ولو ذهب مبشر الى أولئك الناس وبشرهم بالدين الا آلهي لقبولهم بكل سهولة ، وعرفوا الخالق علة وجودهم وآمنوا به ، ولكن إذا ذهب دعاة الالحاد إلى آكلة لحوم البشر في بعض الجزائر وبشروهم بالحادهم فماذا ينتج من ذلك ؟ أصبح تمدن ورفق واصلاح في أخلاقهم وعوائدهم الرديئة الوحشية كما ينتج من الدين ، أو إذا أرسلتم اليهم تلك المقالة التي يقصد بها أبطال الكتب المقدسة فماذا تكون النتيجة من تلك البشارة بآية سعادة يحصلون عليها من ذلك ؟

الخاتمة

إن كنتم كرهتم اسمي وردكم على القس حداد وهو واحد لا أكثر ، وتذكروا ناراً كخاطب موجهين الكلام إليه وناراً كغائب هزماً به وتخطبون القراء متظلمين مني وتشكوني اليهم فإرين من المجاورة على سؤالي الذي أغاضكم . وناراً كصاحب بقاء لكم فيها كله لا يخطئ لأنه لا يحسب قوة برهان ولا عظيم حجة للاقناع . بل وإن ازددتم أكثر لا أغاظ . وأحيل الحكم ينال قراء المجلة الكرام وإلى علماء الإسلام الأفاضل الذين أتم واحد منهم وإلى الرأي العام ليحكموا بعد اطلاعهم على كتابي المفتوح اليكم وردكم عليه وعلى ردي هذا وعلى ما ترون كما تشاؤون أيضاً

وبعد ذلك فليقرروا في أنه هل يحق لمسلم يؤمن بالله وبعما أن ينشر مقالة ملحدين على رؤوس الملا في مجلة الرافقة التي شعارها انتقادية في الأدب والعلم والسياسة ، فقط ليقرأها المستركون في المجلة وغيرهم من كل طائفة ؟ ، وهل تلك المقالة أدبية أو علمية أو سياسية ؟ ، وهل حرية الفكر الصحافي الرافقي تفيز له أن يوصل طعن الملحدين في الكتب المقدسة لأصحابها وهو مسلم ؟ ، وهل أن آداب الصحافة الحرة ومكارم الاخلاق توافق على نشر تحقير في الكتب السماوية وفي صعود المسيح الذي يؤمن به جميع المسلمين أنه من روح الله وتأيد بالروح القدس وبأنه وجه في الدنيا والآخرة . ويشهد القرآن الشريف بذلك وثبت صعوده بقول الله له : اني متوفيك ورافعك إلى ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين آتبعوك فوق الذين كفروا (بك) إلى يوم القيامة . سورة آل عمران وكذا القول وسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً ، سورة مريم

ومنذ ألف وتسعمائة سنة بعيد مئات الملايين من جميع الطوائف للمسيحية لهذا الصعود سنوياً ولا يفتن بأن مسلماً يرضى بهذا التحقير المار ذكره ويتكذيب الكتب المقدسة التي هي نور وعهد للعالمين

وخاتماً أطلب اليكم بحق حرية النشر وحرية الفكر أن تنشروا ردي هذا في مجلة

العصور القراء كما هو بحروفه تماماً ولو كان طويلاً (١) لأنه آخر ردني واكتفى ولا أزيد
ولو ردتم بهار ددتم . وأنظر من إلفكم وشهامتكم أن تفعلوا ولكم مزيد الفضل
والشكر سلفاً والسلام

القس
ألكندر حداد

بيت جالا فلسطين في ٢ تموز سنة ١٩٢٢

العصور — نشرنا المقال السابق عملاً بحرية النشر وترك للقراء الحكم عليه بعد
أن يرجعوا إلى سؤال القس حداد وردنا عليه . ولا يفوتنا أن نقبه القراء . أننا
نشرنا المقال على علانية بل أصلحنا فيه أكثر من مائة غلط لغوية ونحوية وعجزنا عن
إصلاح الأسلوب . وكذلك نسأل القس حداد سؤال واحد . فهو يقول في أول المقال أن حرية
الفكر لا تحتقر الأديان — ونحن نسأله : وهل تحتقر الأديان حرية الفكر ؟

١- ومن الممكن لشهد في غير مجلة العصور

ARCHIVE

اطلب من دار العصور للطبع والنشر

ومن جميع المكتبات المعروفة

مَعْصِيَةُ الْمَلِكِ نَبِيَّ الْحَبَشَةِ

ومقالات أخرى

بقلم

إسماعيل مظهر

التَّحْدِثُ وَالتَّأْلِيفُ

١ - مرجريت أوجادة الكيليا

تلقيا عن الفرنسية الدكتور أحمد زكي ونصرتها لجنة التأليف والترجمة والنشر مطبوعة في مطبعة الاعتماد طبعة ثانية - ١٩٢٩ - في ٢٧٨ صفحة عن القطع الكبير ومقدمة مقدمة من قسم الدكتور منصور فهمي

تنظر في الصفحة الأولى فتبينك الذكري الى حوادث قرأتها وأنت صغير إن كنت بلغت الأربعين مثلي . أما اذا كنت لاتزال في في مستقبل العمر، فتوقع انك سوف تقرأ شيئاً يذكرك أن تقرأه . لأن رواية تطبعها لجنة التأليف والترجمة والنشر، بعد ان يقرها أعضاء اللجنة وهم من تعرف من الاساتذة والادباء ، لابد من أن يكون فيها من المنفعة الادبية ما يرضيك .

غير انك لا تقلب هذه الصفحة وتقرأ عينك على . بسم الله الرحمن الرحيم ، ثم كلمة ، المقدمة ، الا وتقع على هذا السطر الطويل المكتوب بحروف الرقعة الضخام واليك هو :

« بقلم الفيلسوف الكاتب الدكتور منصور فهمي ،

فلا تلبث أن تقول في نفسك « سبحان واهب الالقاب ، ١١١ أو ، سبحان فرحني العالم ، »

وقديماً قرأت مقالا للرحوم المنفلوطي تحت عنوان « خداع العناوين » . محصله أن العناوين خداعا وان لها أثراً نفسياً شديداً . ولقد انتهى المرحوم المنفلوطي على من يتخذون خداع العناوين ذريعة لرواج البضاعة . وفكرت طويلاً في هذا السطر ثم في ذلك العنوان ثم قلت « خداع العناوين » في الماضي اقلب في هذا الزمان فصار « خداع الالقاب » . ثم قلت ان هذا على كل حال لا يليق بلجنة التأليف والترجمة والنشر ، ولعلها سقطة ليس للجنة فيها من يد . فقد جرت العادة في هذه الأيام أن

يرسل صاحب الكتاب الى الصحيفة او المجلة كتابه مصحوباً بتقرير ينشر من غير أن يراه محرر المجلة أو رئيس تحرير الجريدة : وربما تكون العدوى قد سرت الى المقدمات . فترسل المقدمة مع اسم صاحبها وألقابه ، ويصبح تزع لقب من الألقاب جريمة لا تغفر .

ثم تنتقل الى الرواية ذاتها فتقع على أسلوب من السهل الممتنع قد مليء جمالا وزاده انتقاء الالفاظ روعة ، فكان في أول الرواية كما هو في آخرها صورة صحيحة لمقدرة الكاتب وتضلعه من اللغتين المنقول عنها والمنقول إليها . فإذا أضفت الى هذا الامانة في النقل والحفاظ على المعاني الأصلية التي ارادها « دوحاس » وعرفت فوق ذلك ان الكاتب كثيراً ما يهني باللفظ في سبيل المعنى ، وذلك قليل في الرواية لحسن الحظ ، كما أنه دليل ساطع على مقدرة المترجم ، لم يكن لديك بعد هذا ما تقول في نقد هذه الترجمة القطة التي جاءت ، كما قال حافظ إبراهيم ، كالخسنة وحبالها في المرأة .

أما إذا أردت على صحة مذهبي في أسلوب الرواية وترجمتها من دليل فاقراً القطعة الآتية : وهي من كلام مرجريت ليدونك

— . انه الحق . أنا معاصر المخلوقات الموكلات الى الاقدار . لنا من الأهواء أعاجيب ومن الحب صنوف لا يتصورها انسان . طوراً نهب أنفسنا لأمر ونارة جهنم لغيره . ومن الناس من يفلس نفسه ولا ينال منا قليل شيء . ومن الناس من ينالنا أجمع بياقة زهر . قلوبنا بها أهواء هي وحدها معاذيرها . وفيها لقد وهبك نفسي أسرع عما وهبتها لأحد غيرك . ولم ؟ لانك وجدتني أبصق الدم فأخذت يدي لانك بكيتني ، لانك المخلوق الوحيد الذي رحمني . لا بأس عليك من السخافة التي سأذكر . كان لي في ذماتي جرور كان يلحطني لحظ الحزين عند ما أسعل فهذا من الحاق أجمع من أخال أني أحبته . ولما مات بكيت فوق ما بكيت أمي . لست أنكر انه عاش معي اثني عشر سنة من حياته . والآن قد أحبتك سريعاً قدر ما أحبت كلّي هذا — ألا لو عرف الناس ما وراء دعة تسيل ، لكانوا أسرع في الدخول الى قلوبنا مما هم . وكنا أبطأ في إخراجهم عما نحن

ولستطردت مرجريت

... . وبعد فقد كنت الوحيد الذي حسبه يستطيع فهم آرائى وأقوالى سريعاً
 إذا أنا فكرت صريحاً أو تكلمت بلا كلفة . على حين أن من يثخون حول فتاة
 مثلى لا يخونهم أن يعنوا فى كل كلمة تقوله بها ويستنجوا انعقد الأمور من أنفه
 أقوالها . نحن بالطبع ليس لنا أصدقاء ، بل أحياء انانيون ينفقون أموالهم علينا
 كما يدعون ، ولكن على أهوائهم . وهم لا يرضيهم منا إلا أن نظهر بائساج إن
 كانوا مبتهجين ، أو بالصحة والشبهة إن كان العشاء معنا ، وإلا نظهر بالشك .
 مثاهم فى كل قضية وحقيقة من حقائق الكون وقضاياها ، ونحن غير مأثون لنا
 فى أن يكون لنا عاطفة أو بقية من قلب . ومن أذن لنفسه منا بشيء من
 ذلك فرعان ما تضيق الثقة فيه . ويطارده بالصباح خلفه والباح . لم تعد
 بعد ملكاً لأنفسنا . لنا من الأحياء ، ولكننا من الأشياء . إذا تولى الناس
 حب قوائهم وملكهم سورة شهواتهم ، وضعونا فى المكان الاسمى والدعوة العليا
 حتى إذا جاءت ساعة التوفير والاحترام ، فلما المكان الأسفل والمرتبة الدنيا ، الخ .
 ولعلى أن يكون قد اخترت على هواى أياها القارىء . فأرجع إلى الأصل لترضى
 بوعتلك بما يلائم هواك ، وأنا الكفيل بأنك سوف تقع على بعيتك ، وإن بلغت
 بك غرائب الخزعات لمبالغا القتلوى .

٢ - سفر التكوين

بحث نظرى فلسفى تشرىحي لبيان من هو كاتب هذا السفر
 الذى هو أقدم سفر تاريخى فى العالم والغاية من كتابته . تأليف
 الأستاذ جبر ضومط ب . خ . م . ع . بالجامعة الأمير كاتبة فى
 بيروت . أخرجته مطابع قوزما فى ٦٤ صفحة من القطع
 الكبير ، والعناية ظاهرة فيه من كل ناحية .

يحاول الأستاذ الكبير جبر ضومط أن يثبت بهذا الكتيب ، على حد قوله فى هدايته
 لنا ، أن كاتب سفر التكوين هو يوسف الصديق ابن عم موسى وابن يعقوب —
 إسرائيل — عليهم السلام . على أنه إذا صح ما ينسب إليه النقاد من أن ذكر وفاة
 موسى ووصف دفنه من أسفار التوراة دليل قاطع على أن موسى لم يكتب هذه

الأسفار ، صبح لدينا أيضا أن ذكر وفاة يوسف في آخر سفر التكوين دليل على أن السفر لم يكتبه يوسف .

جاء في آخر سفر التكوين اصحاح ٥٠ : ٢٢ إلى ٢٦ ما يلي :

«وسكن يوسف في مصر هو وبيتاؤه . وعاش يوسف مائة وعشرين . ورأى الأفرام أولاد الجيل الثالث . وأولاد ما كير بن منى أيضا ولدوا على ركبتي يوسف . وقال يوسف لآخوته أنا أموت . ولكن الله سيفتدكم ويضعكم من هذه الأرض إلى الأرض التي خلف لا يريم واسحق ويعقوب . واستحلف يوسف بني إسرائيل قائلا الله سيفتدكم فتصعدون عظامي من هنا . ثم مات يوسف وهو ابن مئة وعشرين . فحنطوه ووضع في تابوت في مصر وهنا ينتهي سفر التكوين .

ولا جرم أن من أصعب الصعاب أن نحقق تاريخيا أو اخباريا على حد قول الأستاذ الكرملي — ما يختفي وراء مثل هذه النصوص الصريحة من الوقائع الصحيحة . فإذا كان كل ما في سفر التكوين مباحا في قصة إبراهيم وأولاد إبراهيم من أبناء العبرانيين لا من أبناء الآماء كما يذهب الأستاذ ضومط ليكون دليلا على أن اهتمام يوسف وجه أبي جده الأكبر إبراهيم وأولاده الذين انحدر منهم يوسف ، وأن هذا دليل على أن يوسف كتب هذا السفر ، فلماذا يقتصر الدليل على يوسف ولا يتعدى إلى موسى ، ما دام لموسى في إبراهيم جداهما الأكبر من الحق بقدر ما لموسى ، وما دام أن موسى ويوسف نبيان ، أو ، بطريقان ، على حد قول الأستاذ ، وأن ما يشير إليه أحدهما في سفر التكوين جائز أن يكون فخرا للآخر كما هو فخر اللاول ، وأن الاحتفاظ بسيرة إبراهيم وأولاده من العبرانيين كاملة ظاهرة جلية ، تفيد يوسف كما تفيد موسى ؟

على أني والحق يقال قد أعجبت على الرغم من إكبابي على درس سفر التكوين على الاخص وبقية أسفار التوراة على وجه العموم ، بكثير من الملاحظات التي أدلى بها الأستاذ ، والبراهين التي أيد بها مذهبه . فانها ملاحظات وبراهين قد فائت الكثير منها ، وكان كتاب الأستاذ أول حافز لي على مراجعتي لها وإعادة درسها في ضوء أقواله الجديدة .

هذا ما أرى في هذا الكتيب الصغير - غير أنه لا يجدر بي أن أترك الكلام فيه
من غير أن أشير إلى نقد ذلك الكتاب ظهر في مجلة «لغة العرب» للاستاذ الكرملي بغداد
وهي مجلة لها في قضي كبير الاحترام . فبعد أن شرح مرعى الكاتب وبعد أن وجه
إليه بعض الانتقادات اللغوية والنحوية قال :

« وهناك عدة أدلة تنقض ما جاء في هذا الكتاب لا محل لذكرها هنا إذ ليس
هذا البحث من موضوعات مجلتنا ، فنطلب من حضرة الاستاذ المبدون .
ونحن نسأل - إذا لم يكن هذا موضع سرد هذه الأدلة التي تنقض ما جاء في
الكتاب ، فأين موضعها ؟

ثم جاء في ذلك النقد بعد ذلك ما يلي :

« أما عبارة هذا التصنيف فرككة - وما كنا نتصور أنها تصدر من قلم الصديق
لكثرة ما فيها من الأوهام وقد لا يرتكبا الخطأ ، فكيف ؟ » وهو استاذ الأستاذة
والحقيقة أن هذه الجمل لا يحسن أن تصدر عن مجلة «لغة العرب» في حق زميل
صاحبها الأستاذ ضومط . وكان من الواجب أن يرأى الكتاب نظروفاً الأستاذ
ومنه وطول جهاده المبرور في سبيل اللغة وأهل اللغة . على أنه مما يسلي أن اللغة
العلمية في رد الالفاظ إلى أصولها المنحوتة عنها أو هام لو أردنا عدداً لغات الحصر .

٣ - إبراهيم باشا في سوريا

هو تاريخ يده النهضة الحديثة في الشرق الأدنى وأحوال
سوريا في عهد محمد علي وثورات السوريين ودرود حوران
على حكومته وصفحة من تاريخ المسألة الشرقية ومطامع دول
أوروبا في البلاد العثمانية . تأليف الاستاذ سليمان أبو عز الدين
طبع بيروت في المطبعة العلية ليوسف صاير - ١٩٢٩ -
في ٣٤٤ صفحة من القطع الكبير حسن الطبع والورق .

يمتاز هذا الكتاب بطلاوة أسلوبه ، حتى أنك لا تستطيع أن تميزه عن أخص
الأساليب المصرية البسيطة الجميلة ، لو لم يقع نظرك على أنه صادر عن بيروت وعن
أديب سوري بحث ، أمعن في البحث واستقص الموضوع من كثير من أطرافه الهامة

التي تخرج الكتاب سقراً تاريخياً طريفاً في الفتح المصري لسوريا في عهد محمد علي.
وما ترتب عليه من النتائج الاجتماعية والسياسية.

وأخص ما يمتاز به هذا الكتاب أنه أظهر بجملاء ووضوح النتائج الاجتماعية
الاصلاحية التي يتحتم على شعب غاز أن يأخذ بأسبابها اذا ما أرمع غزوة مجاورة
له. وهذه ميزة قلما تجدها في كتاب من الكتب التي اقتصت بالكلام في تاريخ الفتح
المصري لسوريا في عهد محمد علي وابنه ابراهيم. فلقد أوضح الكتاب بمهارة فائقة
أن الفتح السوري كما كان نصراً حريياً كان خذلاناً سياسياً لمصر في سوريا. وبمثل
هذه المهارة أظهر الكتاب ما جنت مصر من ضروب الاصلاح الاجتماعي لتكون
على الأقل قادرة على القبض على زمام الحالة في سوريا. التي كانت تجعل مهمة
الفتاح والحاكم محفوفة بالمشقات لاختلاف نزعات السكان وصعوبة مراسهم وعورة
المسالك وانتشار النظام الاقطاعي والكثرة المتغلبن واصعاب الامتيازات المحلية.
والامتيازات المحلية لم تأت أصحابها عضواً بل نشأت في أكثر الاحوال عن أسباب
وضرورات كانت مبررة لوجودها عند نشوئها. كقيام أصحابها بنصرة حزب
أو مبدل أو عجز الدولة عن حماية أرواحهم وأموالهم واضطرارهم للتودع عن حياتهم
بسلاحهم. وعلى كل حال فإن من تمتع بحق ما ردها من الدهر لاسيما عليه التنازل
عنه بدون عوض مهما كان مشقوه ولا يصبر على سلبه منه فوراً ويكون مفلومة.
كما أن الحاكم القادر لا يسمح بقيام مملكة في وسط مملكته. وثبات الملك وانصاف
المحكومين بسنوجيان نفه دسطة الحاكم ومساواة الرعايا في الغنم كحماية الارواح
والخقوق. وفي الغرم كالجنيد ودفع الضرائب. ولا سبيل الى بلوغ هذه الغايات
إلا اذا كان شعار الحكومة الحكمة والعدل والعتماها موجه الى اسعاد الرعية
وتوطيد دعائم العمران والامن وكانت لديها قوفاً رهيباً ويحترمها المحكومون. —
هذا مثال من الكتاب وهو كاف عندى لتعريف القراء بماهية.

وقد صدر المؤلف الكتاب بمقدمة وجيزة بين بها الغرض من الكتاب
والاسلوب الذي اتبع في تأليفه. وكذلك أثبت فيه أسماء كل الكتب التي رجع اليها
في تأليفه. كما أتم قائده بكثير من الخرائط والرسوم التاريخية وصور المشهورين

في تلك الحوادث ، والكتاب ككل تأليف يستند الحق والحقيقة يحتم بعبارة ملتزمها
الحقة التاريخية إذ يظهر لك كيف غرم الشرق وغنم الغرب

١- عقد الإيجار

هذا الكتاب حافلة من شرح القانون المدني في
العقود وهو خاص بإيجار الأشياء. تأليف الأستاذ عبد
الرزاق أحمد السهوري دكتور في العلوم القانونية
والاقتصادية والسياسية دبلوماسي من معهد العلوم الدولية
بجامعة باريس ومدرس القانون المدني بكلية الحقوق .
شرته لجنة التأليف والترجمة والنشر - ١٩٢٩ - مطبوعاً
طبعاً أثيقاً في مطبعة دار الكتب على ورق جيد فبلغت
صفحاته . . . ١٠٠ صفحة من القطع الكبير

لقد تكونت لدينا بالعدل مكتبة قانونية حديثة نادرة المثال في كل الأمم التي تنطبق
الضاد وهذا الأمر يؤكد بكون الأساس الوحيد الذي يقوم عليه التقدم في ناحية من
أم نواحي الإصلاح المدني المنشود . بل أنه قاعدة من قواعد الحضارة التي تريد أن
غيرها فتكون مصرية بحته في نوب حديث . ولقد ساعد على اظهار هذه التوايف
في هذا العصر أمراء : أولها علاقة مصر بالقانون الفرنسي وبعلماء فرنسيين منذ
سنين عديدة لا يقل مداها عن ثلاثة أجيال : وثانيها مبرونة في اللغة العربية وسهلت
كل المصطلحات القانونية ، حتى لقد أخبرني أحد المصلحين من القانون الفرنسي
بوما أنه يرى أن اللغة العربية من أغصب اللغات في المصطلحات القانونية وأنها من
أطوع اللغات على التعبير عن المعاني القانونية الدقيقة .

ونحن نكتفي هنا بنقل تصدر الكتاب وقد نشر تحت عنوان : كنية اختاجة .
تبنا بنصها لآخر وسيلة نعرف بها الكتاب للقراء مادامنا نتعاضد في موضوع
لا علم لنا به . قال الكاتب :

« هذا كتاب في الإيجار أخرجته وأنا أول من يحس مواضع النقص فيه ، وقد
صلحت في تأليفه زهاء ثلاثة أعوام ، ولم يصح عزمي على إخراجه إلا بعد ما قدرت
أنه بعد فراغها ، أياً كان مبلغ التوفيق في وضعه ، فقد ظهرت كتب قيمة في شرح

معظم اجزاء القانون المدني المصري ، ولم يكده يفي إلا الإيجار بنوعيه : إيجار الأشياء وإيجار العمل . فقوليت في هذا الكتاب شرح إيجار الأشياء ، مستقيماً مايسمى « بإيجار العمل » إلى مؤلف آخر وعندى لذلك بيان :

(أولهما) اني فضلت أن أخص بكتاب كل عقد من هذين العقدين ، حتى يتبع المجال لنسب من الأسباب والتفصيل ومقارنة الشرائع ، وحتى لا يقتصر البحث على الوجهة العلية ، بل يتناول الناحية العملية أيضاً هذه الناحية تلبيها في قضاء المحاكم ، فافضحت للقضاء المصري والقضاء الفرنسي من حوائثي الكتاب ، ولم أتنب في ذلك أن ترتفع هذه الحوائثي حتى تأكل من الصحيفة نصفه أو أكثر ، فإن القانون مادة حية غذاؤها التطبيق العملي ، ولو اقتصر الأمر فيه على المنطق المجرد ، ولم يلامس الحاجات العملية ، لكان علماً نظرياً ، ولا خطأ التوفيق فيما خلق من أجله . وقد كان لقضاء المختلط في هذا الكتاب نصيب أوفر من القضاء الأهلي . ولا أدري ان كان هذا راجعاً لنقص في المجموعات التي تنشر أحكام المحاكم الأهلية ، أو أن المحاكم المختلطة تعني أكثر من زميلاتها بالنسبة في إرجاع الأحكام إلى أصولها القانونية . وأكثر من الحوائثي من الإشارة إلى المراجع التي يحتاج اليه الباحث إذا أراد التعمق في موضوع من الموضوعات . وكذلك سجلت فيها النصوص القانونية من أهلية ومختلطة وفرنسية وشرعية ، مستنداً من الشريعة الإسلامية على كتاب مرشد الخيران . .

(وثانيهما) هو أن الاتجاه العلمي الحديث لا يجمع في عنوان واحد بين إيجار الأشياء وعقد الاستصناع والعمل (إيجار العمل) لأسباب ينتهي في مقدمه هذا الكتاب ، فجاءت هذا الاتجاه الحديث ، وأفردت لكل عقد مكاناً قائماً بذاته . .

وإني أرجو أن لا تكون عثراتي في هذا الكتاب فوق ماقدرت ، وإن أسديتم

التفاني القدر الذي أملت .

وتنم آراء هذا الجهد المشترك الكبير من جانب الأستاذ المؤلف ولجنة التأليف والترجمة والنشر ، لا يسعنا إلا أن نظهر اغتباطنا الشديد بمواد هذه النهضة التي وضعت مصر في موضع الناجح من مفرق الأمم الشرقية .

٥ - الخواطر العرب

في النحو والاعراب

تأليف الأستاذ جبر ضومط م . ع . أستاذ اللغة العربية
في المدرسة النكيلة السورية الانجيلية في بيروت .
والكتاب مهيء الى المرحوم جورج بوست م . ع .
ط . د . ج . س . د . ش . وهو مطبوع في المطبعة
الآبوية سنة ١٩٢٨ - طبعة ثالثة واقفاً في ٣٤٨ صفحة
من القطع الكبير مضبوط الشواهد وبعض العبارات
مخطأً حسناً وعلى ورق جيد .

ان شهرة الأستاذ ضومط قديمة عن التعريف وخدماته الجليلة للغة العربية
معروفة ذائع أمرها بين الناطقين باللسان ولا تقتصر أبحاثه على قواعد اللغة ذاتها
فان له في فلسفة اللغة جيولات واسعة وآثار خالدة
هذا في الأستاذ المؤلف . أما في الكتاب نفسه ، فاما لا نستطيع ان نعرف الكتاب
بأعين مما عرّفه به الأستاذ نفسه في كلمة تفهمنا بحذاقها اعترافاً بما للكتاب من قيمة
وتعريفاً به على آيين صورة :

« النحو قسم مصطلحات او تسميات تضاف اليها احكام خاصة وقسم
فهم وتميز . وهذان القسمان لا ينفك احدهما عن صاحبه ولا يأس من ان نطلق على
القسم الاول اسم النحو ، وعلى الثاني الاعراب وان كان علم النحو عند الاطلاق
يشملهما معاً . »

« بناء على ما تقدم ، فقد يراد بالنحو معرفة ما يراد بالاصطلاحات التي لا بد منها
في هذا العلم كمعرفة المعرب والمبني والعامل والمفعول وعلامات الاعراب والبناء وماذا
يلحق كل نوع منها من انواع الكلمة الثلاثة الى آخر ما هنالك فضلاً عن معرفة ما يراد
بتسميات خصوصية الاحوال او لاعتبارات خصوصية كالابتداء والخبر والفاعل ونائب
الفاعل والمفعول به وفيه والداخل والخال والمميز والاستثناء والنعت والتوكيد والبدل الخ
فان جميع هذه مما ذكرناه وما لم نذكره لا بد لتعلم النحو من معرفته وحفظه . »

، إلا أن هذه المعرفة لوحدها قشور لا فائدة منها ، ما المنفعة أيها الطالب العزيز من معرفتك حد العامل والمفعول غياً وانت لا تميز بين الواحد منهما وصاحبه في المركب؟ أم إبه فائدة تستفيد من مجرد استظهارك غياً أن المتداً قسيان والخبر اقسام وانت لا تميز المتداً من الخبر في الجملة ؟

، أيها الاخ الاستاذ هب ان تليذك حفظ عن ظهر قلبه (ويقتضى ان يحفظ) ان المرفوعات هي المتدا والخبر والمفاعيل ونائبه و. و. الخ والمنصوبات هي المفاعيل والاستثناء والحال والتمييز و. و. والمجرورات هي المجرورات بالحروف او بالاضافة على التفاصيل المذكورة في المفاولات النحوية . والمجرورات (والمنصوبات ايضاً) هي الفعل المضارع على الشرائط الكثيرة المعروفة — هه حفظ كل هذه كما يحفظ — ايانا الذي في السموات ، او سورة الفاتحة — ولكنه لا يستطيع ان يميز ما اذا كان هذا المرفوع متداً او خبراً ولا هذا المنصوب مفعولاً به او محلاً ، ولا هذا المجرور مجروراً بالاضافة او بالنسبة فا الفائدة من هذا الحفظ ؟

، إن من لا يستطيع ان يميز ان هذه الكلمة مثلاً تستحق الرفع فيرفعها غير شك في حكم وتلك تستحق النصب او الجر فينصبها او يجرها كذلك ، قاو لي به أنت لا تعرض لدرس هذا العلم وكذا قريحته به اصلاً . والاستاذ الذي لا يتطلع الى اكثر من أن يحلل ذاكرة تلميذه بحدود العرب والمجن والمنصرف والمجر المنصرف و باقسام المتدا والخبر والخ قافل ما يقال فيه انه لم يؤد اعادة العلم حقاً ،

، إن علم النحو اذا اقتصر فيه على مجرد الحفظ من غير إشراف على فهم او تمييز كان مصيبة وأما مصيبة على المعلم والمعلم معاً اما اذا صحبه الفهم وبعبارة اخرى إذا افترق بالاعراب فهو من اجل العلوم التي تعلم في المدارس لغاية ترويض العقل وتتيه قوتي القياس والاستنتاج لا يفصله في ذلك علم من العلوم بل هو من هذا القبيل يكاد يفضل على الرياضيات والمنطق والفلسفة العقلية معاً .

، جرب نفسك و افتح كتاباً و اقرأ وضع علامات الاعراب و البناء المختصة لكل كلمة تقرأها فانك تشعر من نفسك ان لا بد لك من ان تشغل أعل قواك العقلية اعنى قوتي الفهم والتمييز وقوتي القياس والاستنتاج . ثم ما لم يكن فهمك صحيحاً وقيل استنتاجك كذلك

فكل لفظة تلفظها تؤذن بمجربك وتتم بضعف فهمك وفقر تمييزك فالفهم الفهم اذن
ايها الطالب العزيز والتفهم التفهم ايها الاخ الاستاذ .

• ان الخواطر العرب مراد بتأليفه الفهم اكثر مما هو مراد الحفظ وإليك
مطلب ايها الاخ المعلم ان توجه التفاتك الى ان يفهم تلميذك ما يقرؤه وافضل محك لذلك
ان يطبق القواعد على الامثلة والشواهد . فان لم يكف الموجود من هذه فانضم اليها
ما تراه ملائماً حسب الحاجة . والمرجع عندي ان التلميذ اذا فهم الاحكام والضوابط
التحريرية حق الفهم وطبقها على ما امامه من الامثلة والشواهد بعد ان يفهم معناها
اجمالاً ومعنى مفرداتها مفصلاً . فذلك الشواهد والامثلة ترسخ في ذهنه وتصبح من
بعض محفوظاته ايضاً . فان لم تصبح من محفوظاته فأشير عليك ايها الاخ الاستاذ ان
تطالبه بحفظ معظمها ان لم يكن كلها فان هذا الحفظ من قبيل تعلم اللغة امر مقصود
بالذات يتعلم له الصرف والنحو والمعاني والبيان والبدع وكل علم يتعلق بفصاحة
وبلاغة بل حتي علم المطلق قد يتعلم واسطة ليوصل بذلك الى اتقان تعلم اللغة وفهم
مغازي الكلام ومزاياه قاصلاً .

• واذا فهم تلاميذك او معظمهم ايها الاخ الاستاذ ما يقرؤون من الخواطر العرب
حق الفهم فلا تطلبهم حالاً ان يتدبرهم الفهم الى حيث هو عندك ولا ان يسرعوا
في احضار ما فهموه مع الاصابة التي ترصاها كما تسرع انت فان ذلك (اي سرعة
الاحضار مع الاجابة وامتداد الفهم) متوقف اما على شدة ذكاء التلميذ او على
كثرة المراجعة واعمال الروية بوجهات ان تجد دائماً تليداً سريع الفطنة شديد
الذكاء اذا مر به شيء انطبع على لوح ذاكرته وفهمه كما تنطبع صور المرئيات على
الواح التصوير الشمسي الحساسة ثم لا يعود يحس من هناك فائق اذا طلبت ان
يكون كل تلا مدتك على شاكلة من وصفا فقد طلبت شيئاً يكاد يكون مستحيلاً .
فانقذ اذن من اغلبهم ان يفهموا ابتداء ما تفهمهم ايها وكل امر الاحضار مع السرعة
والاصابة وامتداد الفهم الى الابد وكثرة المراجعة . ولا يسوك ما تراه كثيراً من
تباطل البعض وغفلة الكثيرين عما ترى التباطؤ فيه تقصيراً والغفلة عنه ذنباً . واذا ذكر
انا لم تكن منذ يضع سنين تفهم ما تفهمه الآن ولا تحضر ما تحضره بالسرعة التي تطلبها
من تلاميذنا الآن .

قلت ان الخواطر العربيه موضوع للفهم أكثر مما هو للحفظ ، وأريدانه منظور فيه إلى تنشئة الطلبة على الاعتماد ان علوم اللغة ومن بينها النحو هي علوم خاصة لاحكام العقل يتصرف فيها بما يناسب المصلحة والغاية لا مستعصية عليه مستبدة بعوان آراء النحاة حتى المشهورين منهم ان لم تطابق المنقول عن اللغة فيما يحتاج فيه إلى النقل او المعقول فيما يحتاج فيه العقل فهي مما لا يعتد بها وحسبي من الاخ الاستاذ ان ينشئ تلامذته على الفهم في النحو كما ينشئهم على حفظ مفردات اللغة وشواهدا اليلغة وان يصلح عن طريق العقل والنقل كل ما يحتاج إلى الاصلاح في الخواطر العربيه وإذا تفضل إلى مطالعتي بما يراه محتاجاً إلى الاصلاح أو التعديل ، كنت بغاية المنة والشكر لتفضله واختم بتقديم الشكر الجزيل لصديقي الاستاذ الفاضل داود افندي قربان على كثير من الملاحظات والاصلاحات والتعديلات التي اشار اليها في أثناء وقوفه على المسودات المقدمة للطبع كما اني اشكر الاستاذ نجيب افندي نصار على ملاحظته مسودات هذه الطبعة . والحمد لله أولاً وآخراً اللهم اجعل كل أعمالنا خالصة لوجهك الكريم وقنا شر أنفسنا وارحمنا برحمتك انك ارحم الراحمين وخير الممضين آمين .

٦ - العدل الآلهي

واين اثره في المخلوقات

تأليف الاستاذ حسن حسين يقع في ٨٨ صفحة من القطع الكبير مطبوع في مطبعة المتحف والمطبع طبعاً حسناً وعلى ورق جيد

بدأ المقدمة بهذه الكلمات :

(١) ما كل ما يعرف يقال ولا كل ما يقال جاء ، أوانه ولا كل ما جاء أوانه
حضر أهله ،
الامام علي

(٢) ليس في العالم شيء هو خير بذاته ولا شيء هو شر بذاته ، بل بالوضع . وقد
ينقلب الخير شراً والشر خيراً ، فلا تكون هناك حقيقة .
ارسطو

(٣) فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما يتبع الناس فيمكث في الأرض ،

قرآن كريم

يتم الأستاذ حسن حسين بالبحث في الغيبيات ، بل وفي أكثر مباحث الغيبيات .
التواء وتعمراً على الفهم . فمسألة العدل الآلى والبحث عن اثره في المخلوقات من ذلك .
الابحاث التي يجد فيها لغة ويكتب عليها كل اكتاب .

ولقد بحث كثيراً في مسألة الأرواح ونقل مذهب يوجا الهندي وهو مذهب قائم
على الروحانيات الصرفة ، وليس للعمليات بالمعنى العلمى فيه اقل اثر . بل كل ما فيه
من العمليات ثمريبات رياضية يعتقد أصحاب المذهب أنها مفيدة في تركية الروح
مؤدية بها الى الخلاص من سجن البدن الكثيف .

وتجلى هذه النزعة في مؤلف العدل الآلى في برهانه الذى يقسمه على وجود الله .
فانه يزعم الى برهان اهل الباطن ، وذلك البرهان الذى لا يمكن أن يقتنع به الا الشخص
الذى يتجلى له هذا البرهان في أخنة من الاخانات النفسية التى يعتقد اهل الباطن انها
من البراهين التى لا تغض . ولكنه على أية حال برهان لا يمكن أن يقتنع به احد من
طريق التدليل لانه لا دليل عليه الادعوى صاحب . قال في ص ٤٠ ، ٤١ ما يلى :

« والحق أننا بحاجة الى حجة أخرى (غير الحواس الخمس التى هى عماد العلم
بالضرورة) ليست لنا الآن ولا نبلغها الا بعد ان يبلغ درجتنا من غوامض
المادة وما علق بها من تحاق وصفات مكثسية .

« نقول : وانما نحن نستطيع ان نستدل على صفات ضرورية في الله جل شأنه ا — من
مقدمة برهان وجود — واجب الوجود — مطلقاً ، ويجب أن تكون هذه الصفات
القدسية أو الكالات ١١١ — محور الدائرة في كل دين من الأديان ١١١١

أما النتيجة التى يصل اليها في اثبات وجود الله فهي ما يلى :

« اندمج في حسك وآنس الى نفسك ، بعيداً عن كل موضوعات أو خيالات ، في
وحدة وسكون — هنا لك وانت منسجم مستسلم — تشعر بعزل غريزي يجتذيك
نحو الحق — وتحس بأنه يحقق لك وجوده دون حاجة الى تدليل أو برهنة ،
وهذا ولا شك دليل اهل الباطن . بل يعترف المؤلف أنه ليس بدليل ولا برهان
بل تجربة دينية يقتنع بها مجربها اقتناعاً شخصياً بل تراء بعيداً عن طريقة البرهنة
اتبعاد ديكارت والادلة التى أقامها . يبقى كروزيار ، المعروف ، ذلك لأن الاول ينهج
طريق المنطق ، والثاني طريق التدليل بالسببية .

فلذا رجعت الى الابحاث النفسية الحديثة لتعرف ما هذا الاستحسان والاستسلام ،
عن قيمة في اقامة دليل يمكن ان يكون له أثر في اثبات وجود الله أو شيء من الغيبات ،
وقرأت الفصول القيمة الخالدة التي عقدها الأستاذ الكبير ، وإيم جيمس ، في كتابه
Varieties of Religious Experience فهنا لك تعرف أن قيام الحالات النفسية
التي يباشرها أهل الباطن كلها حالات غير طبيعية بل هي عبارة عن أعمال جسمانية
تحدث حالات نفسية بخيل مباشر بها أنها حق بل أنها الحق ، وهي لدى البحث النفسي
الدقيق ليست سوى حالة نفسية ناشئة عن نظام جسماني

أما الامثال التي ضربها (ص ٥) في أن الكون دليل على وجود الله كقوله
إن الساعة المضبوطة في صحراء إذا عثر عليها غابر سبيل تكون عنده دليلاً على وجود صاحب
الحاكم مدير ، فامثال تفود الباحث الى القول بأن الله ليس أكثر من فرض ضروري ،
وهذا ما قال به د كروزيار ، ولا جرم ان هذا بعيد كل البعد عن ان يقبله رجل من
أهل الباطن الذي يلجأ المؤلف الى برهاتهم في وجود الله .

وبما يدلك على ان المؤلف ينزع الى براهين أهل المنطق أكثر من نزوعه الى
برهان أهل الباطن ، وأنه لم يقل برهان أهل الباطن الا استسلاماً لفكرة الاصلية
التي أراد أن يشأ في تضاعيف الكتاب ، انه عاد في (ص ٢٢) فبعد فصلاً قصيراً
تحت عنوان ، فكرة وجود الله ، فكان الله في هذا الفصل ليس أكثر من
فكرة ، قد يكون لها حقيقة وقد لا يكون لها حقيقة البتة ، شأن كل فكرة من
الفكرات الانسانية قال : —

« نقول : ان المقبول عقلاً والمألوف المعروف انه لابد لكل معلول من علة ولكل
سبب من سبب. انما عظمة العلة وقوتها وأهميتها — تكون بمقدار عظمة وقوة
وأهمية المعلول — ولو كانت العلة خفية غير ظاهرة — فما كان عدم ظهور العلة يمنع
لوجودها ولا حائل دون فعلها وأثرها ، — وهذا الكلام لا يكون صحيحاً إلا بعد أن يثبت
المؤلف ببرهانه قاطع أن العالم معلول أولاً وهذا ما لم يفعل المؤلف بل فرض أن
العالم معلول لا غير ، مستنداً الى فكرة في وجود الله التي يمثليها العقل الانساني من نظره
عن آثار الطبيعة

وذلك كان موقف المؤلف إزاء العلة ، أو بالأحرى ، علة العلل ، فإنه لم يحاول نفي هذا الاشكال الكبير ولم يبحث في ماهية العلة . فإذا كان الله علة كاملة لا يتخلف عنها معلولها ، وجب أن يوجد المعلول مع العلة وأن يشاركها في صفته القدم . في حين أن من شروط المعلول أن يكون حادثاً والاشراك العلة في كل صفاتها حتماً . وهنا تختلط العلة والمعلول اختلاطاً لا يمكن الفصل بين أطرافه . وكذلك لم يبحث مشكلة الحدوث فإن العالم إذا كان حادثاً ثبت أن علة كانت ناقصة (يتخلف عنها معلولها) ثم كملت فلما . كمات وجد العالم لزماً لوجود علة عند تمام تكاملها

ولقد رأينا الأستاذ المؤلف يشير إلى اعتقاده بحقيقة الطوفان العام اعتقاداً يلزم صاحبه الاعتراف بأن الطوفان قد عم كل الأرض واهلك كل المخلوقات . وهذا ما تضمنته الأبحاث الجيولوجية الحديثة قسماً تاماً صريحاً وعلى جملة من القول بأن الكتاب جدير بأن يقرأه كل باحث يريد أن يستوغل في مثل هذه الأبحاث القصية العميقة

ARCHIVE
www.alukah.net

في دفع قنود

بملم الشيخ أمين طاهر خير الله نشره البعث للنشر ووفاتيل
الكك أنخرجه مطبعة الاجتهاد بيروت - ١٩٢٩ -
في ١٥٢ ص من القطع الاوسط على ورق جيد وطبع أتق

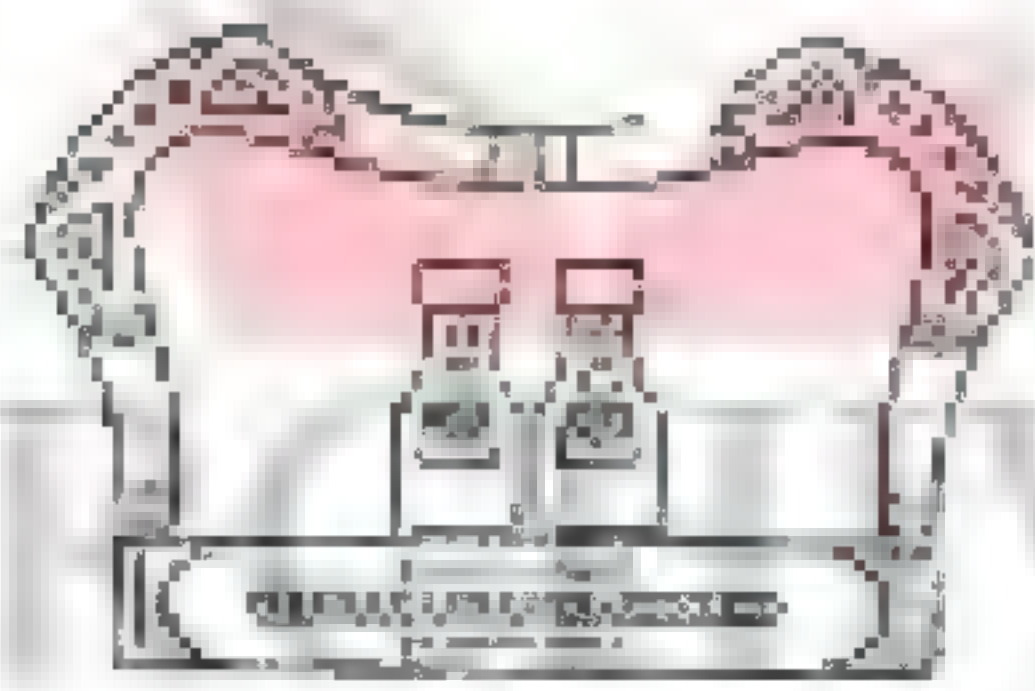
صدر الكتاب بالبين الآتين

ان الحقيقة بنت البحث ما رحت مناظرات رجال العلم تبديها
فالمبتاة على التحقيق تثبتا والمبتاة على البطلان تفبها
والكتاب مجموعة نقود في النحر والاعراب طافائتها الجلى لكل المشتغلين
بعلوم اللغة والآداب وليس لنا ان نعرف الكتاب باكثر من فاتحته التي قام فيها المؤلف
بكتب علوم العربية ضرر بان : الاول ما وضع للثقلين ، فيورد الحقائق التي انتهى
الى تقريرها العلماء بعد جهد جهيد ، ومعظمه يأتي بالأدلة لترسيخ القواعد والتفصيل

منها. والثاني ما وضع للمناظرة في تلك الحقائق فيأتي بالأدلة متضاربة ليثبت الحق ويرهق
الباطل، فقائدته اجزول وعركه عسير .

« وكتاني هذا من الضرب الثاني بذلت جهدي في أن أدون به الحقائق مؤيدة
بالبينات وتصفحت أثناء جمعه كثيراً من المؤلفات النفسية فعزوت كل قول إلى قائله
وعينت موضع وروده ليسهل على من شاء أن يتصفح الاطلاع عليه . ولا ريب في
أن المباحث التي محصتها المناظرة يثق بمطالعها بأنه يأخذ أحكامها عن ذي خبرة . والله
أرجو أن يكون كتاني هذا نافعا لمطالعيه فإن : »

« مناظرة العلماء معاصر في غاص فيه يحوز اللآل .
« براهينها الراهبات كفلن بيان حق وقصد بحال . »



رابطہ الأوسب الجدید بالمستأثرة

أغراضُ الرابطة بث روح التعاون والائخاء الأدبي ونشر الثقافة
الحديثة، وتوجيه المراسلات عنها إلى حضرة سكرتيرها الأستاذ كامل
كيلاني بدار « المعصور » بشارع الخليج المصري بالقاهرة .

بين الصحف والمجلات

قفنا هذا الباب لأن بعض الخوانيا الصحفيين صرفه
غرضاته الى غير مائوخيانة ولاتنا كنا قد قصرناه على
النقد وحده . واليوم نعود اليه لنجعله ميداناً نقاديه
من الصحف والمجلات ما يروق، وننقد ما لا نوافق عليه،
نسكون بذلك اقرب للنصفة، ونافع لقرائنا .

١- مجلة المنار - فائحة المجلد الثلاثين . مقالة مطولة في ١٦ صفحة من القطع الكبير
يحمل مثنى المنار السيد محمد رشيد رضا صاحب التفسير السلفي الاثري المحدث
العصري الارشادي الاجتهادي السلي . غنا الله بعلمه وارشاده : آمين .
المقال غير مهور باعضاء ولكنه استنتاجاً من قلم الاستاذ المسلم الكبير ، أحد
اعضاء مؤتمر الخلافة . بل والاصح الضابط على أحد اذوار المؤتمر في مصر ، لثمن
وفاته في جنات مكة المكرمة . السيد محمد رشيد رضا ، صاحب المنار وتلميذ الاستاذ
الامام ، عليهما من الله السلام . فالمقال في مفتاح المنار وتصدير ثلثة الثلاثين من سني
المجلة التي اغتتها في جهادها المبرور في مؤتمر الخلافة و امثال مؤتمر الخلافة وفي
تجهيز كشوف النفقات التي بعثت في مؤتمر الخلافة ، رحمه الله ورحم زمانا اغائنا
فيه اليد المعروفة ، اليد العليا صاحبة الحول والظول ، وثابت القول ، من مؤتمر الخلافة ،
وقصاع مؤتمر الخلافة ، وشيوخ مؤتمر الخلافة ، فعلى مؤتمر الخلافة الرحمة الواسعة ،
وللسيد محمد رشيد بن رضا السلفي الاثري المحدث العصري الارشادي الاجتهادي
السلي ، الصبر والسلوان .

ليت شعري من للاسلام بعد أن انحلت روابطه ، وتصدعت قوائمه ، وعملت
فيه يد الاتراك بالهدم ، وسامه الملحذون الخسف والطمس ، وضربت فيه
معاول التخريب يحملها الزنادقة ، والغصت بسسه أيدي الملاحدة ، من للاسلام .
وقد تأمر عليه المستشرقون والشرقيون عوناً لرد عليه الساسة والكاثيرون ، من

للإسلام بمسك يده ، يفيم عثرته وينفض من التراب ملته ، إلا السيد السلفى الأثرى
 المدنى العصرى الارشادى الاجتماعى الباسى محمد رشيد بن رحناء ، وسيد
 عبد العزيز آل سعود ملك نجد والحجاز وملحقاتها ، وملحقات ملحقاتها ،
 وملحقات ملحقات ملحقاتها ، إل ماشاء الله من الصحارى القاحلة ، والوادي الماحلة ،
 والأركان الخراب التى لا ينعق فيها يوم ولا غراب ، عليهما من الله السلام ، والتحية
 والتحية والاكرام

ولقد حفز السيد الى كتابة هذا المقال الفاضل الجواب المملوء بحرار فالإيمان ما رأى من
 ماحل الرأى تنشره مجلات الملاحدة ، وتذيعه صحف الزنادقة ، وقد اختار من هذه المجلات
 وأصحابها ، صاحب مجلة ومطبعة فى مصر معروف ، وفي حلب مجلة حديثة مثلاً ، يظهر ان صاحبها
 مقتدياً بنقل اقوال اشهر الكتاب من ملاحدة مصر ، وقصائد شيخ ملاحدة العراق أمثالهم
 ويبنى عليهم وينرد بأثرهم ولكنه لا يتجرأ على التصريح بكل ما يصرحون به
 بأعضائه ، ومنهم أحد محرري الجرائد اليومية المأجورين الذى كتب مقالات فى تفسيح
 النص فى الدستور المصرى على جعل الدين الرسمى للحكومة المصرية الاسلام ، وطلب
 أن تكون حكومة مصرية (لادينية) ومقالات فى سن قانون مدنى للاحوال
 الشخصية ، لا يتقيد فيه بشئ من الأحكام الشرعية الإسلامية ، وقد كان من أركان
 محررى السياسة ويقال إن له صلة وعلاقة ببعض جمعيات اليهود ، وأفراد هذه الطبقة
 لا يدعون الدين ولا يتعضون لوصفهم بالتعطيل بل منهم من يقنن بذلك . . .
 وهؤلاء عند الاستاذ هم الطبقة الاولى من الملاحدة ، وقد وصفهم بقوله . . . إنهم
 الذين سمعهم التربة الإفريقية ، وافسدتهم الآراء المادية ، وخشتم الأسراف فى
 الشهوات البدنية . . . وقد نسي الاستاذ - يرض الله وجهه وأعلى كعبه - أن يضم
 اليهم أنصارهم وأنصار أنصارهم ، وتلطف فلم يزل عليهم اللعنة الابدية ، ولم يفصلهم
 عن حظيرة الاسلام ولم يطردهم من الجنة ، وهذا أقصى ما يصل اليه رجل ثقفته
 علوم الشرع ونزحه الإيمان ، عن أن يحتل مركز الديان ، ففلاستاذ من هؤلاء
 جميعاً الشكر والمنة ، تغلبها اليه عنهم تطوعاً ، ومن رائق آداب الاستاذ انه لم ينعتهم
 بسوى انهم المسمون الثغثون ، والله إن هنا لمنهش الكرم ، وأسى منازل الادب

والفضيلة . كيف لا والاستاذ من ورثة النبي العربي الامي القائل - « انما بعثت لأتم
مكرم الاخلاق » .

وما أحلى قول الاستاذ وأسمى أدبه اذ يقول :

« وما بُعث عندنا بالخبر المستفيض ، والخير الطويل العريض ، أن من أفراد
اولئك الملاحدة دعاة للكفر ، وسعاة للصد عن الاسلام ، وأن منهم من يأخذ على
ذلك جعلاً من جماعات التبشير النصرانية ومنهم من يتقاضى مكافأة من بعض جماعات
اليهود البلشفية أو الصهيونية ومنهم من يخدم النول الاستعمارية ويأخذ أجره منها ،
وأعظم هذه الاجور المناصب والوظائف في البلاد المسيطرة عليها ، ومنهم من لذتقى
ذلك التشبه ببعض فلاسفة الاقرباج وكتابه الاحرار والحفوة عندهم ، والثناء عليهم
في كتبهم وصحفهم وهم لا يشعرون إلا من كانوا عوناً لهم على أقوامهم » (حفظ الله
أستاذنا السيد رشيد رضا من مدحهم وحوطه برؤيته) .

بل نعوذ الاستاذ برب العالمين من شر ما خلق ومن شر حاسد اذا حسد .

وقد تحفظ الاستاذ في هذا الكلام كل تحفظ لم يذكر اسمها ولا اشار الى شخص
فيها إنما يباين فكرة ويجهل مبدأ ، دفاعاً عن الاسلام وعن حضارة المسلمين ، حذر أن
يجهله احد هؤلاء الملاحدة وجلهم (مكشوف الوجه) بعلاقته بابن السعود الذي
هدم القبور وبعثرها واغتصب الارث القديم من اولاد النبي ، وترجع على عرش الرمال
يقطع مفاوزها على الصادر والوارد ، والذاهب والعائد ، ويحجي جباية ملكه من الحادى
والبادى ، والرائح والغادى . خشى الاستاذ الحكيم أن يتخذ احد هؤلاء المدكرة الخيلاء
هذه العلاقة التي ظهر فيها الاستاذ بظهر المبد الرقيق السيد المطاع ، خدمة منه للاسلام
والمسلمين وتطوعاً للدفاع عن الدين الحنيف ، وهو يعتقد من صميم قلبه أن ابن سعود
غير جدير منه بهذا الخضوع ، ذريعة لأن يلوكوا بالسنتهم ما تذيبه العاية الجبلية
عن اكياس الذهب وقناطير الفضة التي يدرها ابن سعود على المنار وصاحب المنار
اجر دفاعه عنه وعن الاسلام . تعالى الاستاذ عن ذلك علواً كبيراً . وهذا لعمرى
دليل واضح على أن الاستاذ قد جمع الى حكمة الدين ، لباقة السياسة التي يتطلبها العيش
في الدنيا . ابقاه الله واسعد له الأبدى ، ودهر الداهرين ، الى ان يرث الله الارض
ومن عليها وهو خير الوارثين .

قال الأستاذ لأفضى فوء :

« وقد أخبرنا من غير حالهم ، وعاشروهم ، بطرق الدعوة التي يقفون بها الشبان عن دينهم ، ولا سيما الأذكيا ، الفصحاء منهم ، وسنينا في مقال آخر ، ونما بلغنا من امرهم انه لم يكن لهم نظام للدعاية الى عهد غير بعيد ثم وضعوه - - - مرخي ، مرخي - - - ذلك عن انباء الغيب تورجيه اليك وما كنت لديهم اذ اجتمعوا امرهم وهم يعكرون . »

قال الأستاذ بلغه الله مناه ، وجعل الجنة مثواه :

« ولما ألفت في مصر جمعية الشبان المسلمين ، عارضوها بتأليف (جمعية الشبان المصريين) لاجل القضاء عليها بدعاية الوطنية ، قيل ان تشب عن الطوق ، وتشب تارها ، فلا يكون لهم بها طوق ، ولكنهم لم يقاوموا جمعية الشبان المسيحيين بقول ولا عمل ، بل وجد فيها من يكبر شأنها ، ويلقي المحاضرات في ناديا . »

نقول - - - وألم عند الله والأستاذ - - - ان الذي كون جمعية الشبان المسلمين اعضاء من الحزب الوطني حزب الاسلام والمسلمين ، فإراد ان يعارضهم اعضاء من الوفد سياسياً (بجمعية الشبان المصريين) ولقد كشف لنا الأستاذ عن سر من الاسرار الخفية التي احتجبت وراء هذه الدعوة ، فظهر لنا الوفد في نوبه الصحيح ، وعلى رأسه الأستاذ النحاس المصلي الصائم الزاكي الساجد الفات القائم الليل واحتراف النهار . فلاستاذ من الامة الشكر على كل حال .

و بعد ان مضى الأستاذ في مقارنة طويلة عريضة بين تجديدائدين في أوروبا وتجديد الملاحدين في مصر والشرق ، اثبت هذه الالفاظ التعهية التي هي جذيرة بان يحفظها عن ظهر قلب كل منعلم لتكون له في ادب المناقشة مقياساً ، وللإستزادة من علم الأستاذ نبراساً .

« وأما ملاحدة بلادنا ودعاة الكفر والاباحة فيها ، فالتجديد الذي يدعون اليه هو مدم كل ما يربط الامة ويشد أزرها ، ويجمع كلمتها ، ويهذب اخلاقها من روابط الدين ، والمحافظة على العرض ، ويسعون الكفر والفجور واباحة الاعراض تجديداً طريفاً ، ومدنية وتقدماً وترقياً ، ويسعون ما يقابل ذلك من التخوي والعفة والصيانة قدماً بالياً ، وقد استشرى عبثهم وفسادهم وعظم خطرهم بكثرة الجرائد والمجلات التي

يتفنون فيها جموعهم ، على صغر شأنهم ، وسوء سيرتهم الشاف عن خبث سريرتهم ،
فانه لا مزية لاحد منهم في علم نافع ، ولا عمل صالح ، وانما هي خلاصة الالفاظ التي
واقفوا فيها اهواء كبار الفسق وصغار الاحداث ، وأن اهل الرأي والبصيرة عندنا
يجزمون بان زعزعة العقائد وفساد الاعراض وإيابة الفناء يناط بفساد اكثر
الجرائد والمجلات . . . وهكذا والله تكون الاخلاق المتأدبين بأدب القرآن الكريم ،
لا كل ، همار مشاء بنميم ، متاح للخير عند ائيم ، عتل بعد ذلك زعيم ، من ملاحمة
هذا البصر .

غير ان الاساذ — نعمنا الله بعلمه وأدبه — قد نسي أن من أولئك الملاحدة فئة تتعمم
و تلبس الحجة والقضبان ، وتنطق باحرمة الحز والديباچ ، وتبالغ في تكبير العمامة حتى
يصير عند حد قول حافظ — كالبرج لكن فوق كل نقاق — مبالغة في الاثم والعدوان
واخفاء الامر ها ان يعرف ، وسرها ان يكشف فتعارب الدين باسم الدين ، وتقاوم
الاسلام باسم الاسلام ، سرأ لا علناً ، واستخفاء لا جهراً ، وهؤلاء واقعة يا سيدي
الاساذ لاكثر شراً ، والام نصداً ، وأشد فساداً ، وأعتظم لئماً ، عليهم وعلى الملاحدة
لمجددين اللعنة الابدية .

واظن ان الاساذ لا يزال يذكر منهم شيخنا ، معينا ربيعة القوام ايض الوجه
غريض المنكبين يمشي الموبنا — كما يمشي الوجي الوجيل — لا خشية من الله ، ولكن
خيلاء واسرافاً ، وكان يجلس الى طاولة معروفة وفي مكان معروف بظومة سيلند
بار ، وهي لا تزال قائمة الى اليوم ، وعلمه منها لا يزال مسوداً بالحزى اعادنا واعادته
الله ، فاذا ما استوى في مجلسه اجتمع من حوله جماعة من المرد التوسياء ، حتي اذا
انصف الليل قام ومعه منهم جمع ، لا للمسجد ولا للمحراب ، ولكن للذة ، يباشرها
أو يباشره . .

افلا تعتقد يا سيدي الاساذ أن هذا الشيخ وأمثاله شر على الاسلام والمسلمين ،
من ملاحدة المجددين ؟

واني لا رجو أن يوفقك الله في خطواتك السديدة ، وان يزيدك من فضله ، أن
الفضل لله يهبه من يشاء ، وهو العزيز الحميد .

٢ - مجلة المقتطف عدد يوليو سنة ١٩٢٩ من مقال تحت عنوان
 "الله والعالم" وهي خطبة مطوية للدكتور صروف
 رحمه الله

والذين ذهبوا إلى معرض باريس رأوا هنالك آلات مختلفة الأشكال والصفات.
 رأوا آلة تطحن القمح وتجهز ونخبه ، وأخرى تبل التبغ وتفرمه وتنسقه ، وأخرى
 تطبع الورق وتطويه وتخيظه إلى غير ذلك ، فذهلوا عن أنفسهم وقالوا ما أحكم
 الإنسان وما أعجب ما وصل إليه . ولو حاولت اقتناعهم بأن هذه الآلات وجدت من
 نفسها أي أن رقائق الحديد ورقائق الخشب تجتمع وتركبت فصار بعضها هوارض
 وبعضها مخارز وبعضها دواليب وبعضها أساطين إلى غير ذلك من الأجزاء المختلفة
 الأقدار والهيئات ، تم تركبت على أوضاع خاصة فتألفت منها تلك الآلات العجيبة ،
 ثم أن هذه الآلات جذبت إليها القمح من طبقات الأرض ، وأضربت فيه النار
 وملأت جوفها من مياه الأنهار فسحق الماء بحرارة النار فصار بخاراً ورفع الأساطين
 التي فوقه فارتفعت أدوات الدواليب الكثيرة وحركت الأدوات المختلفة فتسبب عنها
 طحن القمح وعجن الطحين ونخب التبغ وطبع الورق وبل التبغ الخ وقد جرى
 كل ذلك ولم تدخل فيه يد الإنسان — لو صرحتم لهم بهذه النتيجة — لعدوا كمنجونا
 أو هاذراً . بل من نراه يعلم بذلك وأي عقل يعتقد به ، سخيفاً كان أو ثقيفاً ، يمكن
 أن توجد هذه الآلات من نفسها ؟ أم يمكن أن تختار هذه الأوضاع بلا صانع قادر
 على صنعها ؟ كذلك العقل والنقل لا يسلطان بذلك . العقل والنقل يرفضانه ، وإلى
 لأرى التصديق بأن واحداً واحداً سبعة ، أيسر من أن المطبعة وجدت من نشء
 الطبيعة ، والتصديق بأن واحداً واحداً سبعون أقرب من التصديق بأن الآلة البخارية
 التي تسير السفن الكبيرة وتفضي بأكثر مصالح الإنسان وجدت من نفسها .
 ولكن ما هذه الآلات بالنسبة إلى أصغر الحيوانات التي لصغرها لا تراها العين
 والتي لو جمع ألف حيوان منها معاً ما بلغ جرمها كلها جرم الحردلة الصغيرة ؟ ما هذه الآلات
 بالنسبة إلى العفن الذي نراه مذكوراً كالرماد الأخضر ؟ وإذا نظرنا إلى البكر سكوب
 رأينا غابات من الأشجار وكلها تحيا وتموت على ضرورة نصرت عقول البشر عن
 إدراك كنهها ؟ من يتحسر فيقول إن هذه الحيوانات وهذه النباتات وجدت هكذا

من ش. الطبيعة ؟ ولكن ماهذا بالنسبة إلى الحيوانات الكبيرة ذات الأيدي والأرجل
والعيون والأذان ؟ أين آلات البشر من جسد الانسان ؟ من عفيه ذات الطبقات
العديدة والتراكيب العجيبة ، فلو جمعت كل آلات البشر شرقاً وغرباً ما سارت كلها
عيناً واحدة في الاتقان والغاية . ولو اجتمع كل علماء الأرض وصناعها وأرادوا
أن يصنعوا عيناً باصرة كعين البعوضة ، وصرفوا عنهم كله في هذا العمل إلى ان حانت
منهم لجثهم في آخر حياتهم ، وقد رموا آلاتهم في النار وقالوا كلهم عجزنا عجزنا ؟
وقد ذكرت في هذه القطعة بأخرى اثبتنا العلامة داروين في الفصل السادس من
كتابه أصل الأنواع آثرت نقلها هنا اعتماداً للمفادة و دليلاً ندحض مزاعم الذين يقولون
ان الضوء لازم الالحاد (١)

وليس من الغريب في هذا المقام أن تنسكب مقارنة نضعها بين العين والمنظار المقرب
للأشياء - تنسكب - فانا نعلم أن هذه الآلة لم تصل إلى ما هي عليه من الكمال
إلا بعد أن أفنى كثير من تجارب صفوة العقول البشرية جهودهم في سبيل تحيئه -
ونحن بالطبع مسوفون إلى القول بأن العين قد تكونت بطريقة مشابهة لتلك الطريقة .
ولكن ألا يكون ذلك القول بعض اعتبار قصوري ؟ وهل لنا أن نخاطر بقولنا
خطرة من الظن بأن الحائز العظيم يدبر الكائنات بقوة عقلية مشابهة لقوة الانسان ؟
أما إذا لم يكن به بما ليس منه بد ، ومضينا في مقارنة العين بالآلة مبصرة ، أتبقى لنا
أن نكون بقوة الوهم صورة طبقات متراكمة من أنسجة شديدة ، بين بعضها وبعض مادة
سائلة ؛ ومن وراء ذلك جهاز عصبي كاشف للضوء . حساس له ، ثم نفرض من بعدهذا كله
أن كل جزء من أجزاء هذه الطبقات ماض في سبيل التغير من حيث ثقله النوعي
وكثافته ، مستمر فيه ببطء عظيم ، متجهة تلك الأجزاء نحو التمايز بالانفصال بعضها
عن بعض إلى طبقات مستقلة يختلف ثقلها النوعي كما تختلف كثافتها ، ثم تأخذ أوضاعاً
في أبعاد متسبة ؛ في حين أن سطح هذه الطبقات يكون ممعناً في سبيل التغير من حيث
الصورة والشكل - ثم نقول إن من وراء ذلك كله ، قوة ، نمثلها لأنفسنا باصطلاحات
نضعها كالاستغاب الطبيعي أو بقاء الأصلح ، ملاحظة بعين الشواهد كل تحسين أو تهذيب

(١) راجع ص ٢٥٥ من الجزء الثاني من أصل الأنواع (الطبعة العربية)

وصفي يطرأ على تلك الطبقات المثقة ، ماضية ، حين تأثر هذه الطبقات بمختلف الظروف التي تعوط بها ، في الاحتفاظ بكل شكل من أشكال النفاير ، إما كانت وسيلة ، ومهما كانت درجة ، متى كان من شأنه الكشف عن الأشباح بصورة أكثر دقة ومن ثم نعرض أن كل حالة تمتص فيها تلك الآلة نحو الكمال قد تشكر ملبوناً من المرات تبقى في كل مرة منها محتفظة بكيانها زماناً ثم تزول ، بعد أن يجد في التراكيب العضوية غيرها أقرب إلى الكمال رحمة . فان النفاير في الأجسام الحية ينتج ارتقاءً شيئاً يتضاعف أثره جيلاً بعد جيل إلى ما لا نهاية له ، في حين أن الانتخاب الطبيعي يكون إذ ذاك مجداً دائماً على الاحتفاظ بكل تهذيب يحدث بعين لا تأخذها سنة ورحمة لا يعرفها الكلال . دع تلك القوة تؤثر في ممودها وسكونها تأثيرها الدائم ملبوناً من السن ، متخلدة في كل سنة ملايين من أفراد العضويات المختلفة موضعاً تبرز فيه نتائجها ، أقلنا نعتقد بعد هذا أن آلة بصره حية من استطاع أن تكون قد استحدثت على مر العصور بحيث تكون نسبة الفراق بينها وبين العدة الزجاجة ، كنسبة الفرق بين تدبير القوة الخالقة العظيمة ، وبين الصناعات البشرية .

ARCHIVE
Digitized by Google

٣ - عن المتكلم شهر يوليو سنة ١٩٢٩ من مقال بقلم
الدكتور أبو شادي تحت عنوان في سبيل الحرية - ما بين
الجمود والأصلاح ،

، لعل من غير الانسانية أن تكون لها لغة واحدة ، ولعل اللغة العالمية التي سوف
تكون لها اللغة هي الإنجليزية - لسان العالم الجديد ، مقر أسمى حضارة عرفها البشر
ولسان الإمبراطورية الإنجليزية ، ولسان التجارة الدولية ، ولسان الثقافة والتعامل
في شعوب ناهضة : كثيرة كالإيران والصين والهند . يد أنه من خيال الخيال أن تصور
إمكان القضاء البات على اللغات القومية مادامت هذه اللغات ولدت معارف وحضارات
وعقائد شجيلة . وغاية ما يسوغ لنا العقل تصوره إمكان ذبوع لغة ظاهرة ذبوعاً
كافياً لتكون اللسان الأول للحضارة العالمية ، فيصبح تعلماً فرضاً على جميع الشعوب
المنحصرة ، دون أن يتعارض ذلك وواجبات تلك الشعوب نحو لغاتها الخاصة بها .

وقد ذكرت آنفاً أن اللغة الإنجليزية مرشحة قبل سواها (ولا أستثنى الفرنسية)
لهذه الميزة ، وربما نالتها قبل شروق القرن التالي . وقد أصبحت الإنجليزية بما
تستوعبه من شتى العلوم والفنون والآداب كثراً وفيراً لأنفس معارف الأمم ، وصار
التبحر فيها معنياً في معظم الأحوال عن الألسنة الأوروبية الأخرى . ولكنه رغم
ذلك لم يعرف قديماً ولا حديثاً عن أمة من الأمم التابعة للناج البريطاني أنها استغنت
بهذه اللغة السهلة المرونة الزائفة بالعلوم والفنون والآداب ، عن لسانها القومي الرؤوم .
ذلك لأنها تحس أنه وحده مستودع أسرارها وأحلامها وآلامها .

• هذا مثل نسوقه لنسوغ به تعلقنا (لامن جانب العاطفة وحدها ، بل من جانب
المنطق أيضاً) بلساننا القومي ، دون أن نكون في هذا التعلق مسكة من التعصب
المكين ولا أية مضادة لزعمتا العالمية . وما من شك في أن اللغة العربية — وريثة
الكثير من المانيات القديمة — قد برزت على استطاعتها أن تنكيف في أقطار شتى
قلوبها وتعايرها ذلك التكيف العجيب الذي يجعل حتى من صورتها الفصحى السنة
ومية متعددة لأفارق ينسجها إلا في ما يضيف عليها اللوح المحلل من أنوار التعبير وما
يكسبها من جرس خاص تراجح إليه كل أمة تتخذها لسانها القومي .

٤- مجلة الهلال عدد شهر يوليو سنة ١٩٢٩ من مقال تحت
عنوان الجنسية أو أكل لحوم البشر (كاتب بالزم) بقلم
محمود سامي .

الإنحاء قوة نفسية عجيبة تعرف بمظاهرها ويتعذر تحليل أسبابها . فالتى يعيش
في أرض تكثر فيها الأفاعى ويعتاد قتل الكثير منها يصبح قتل الأفاعى في نفسه أمراً
يدفعه إليه الإنحاء . والجندى الذى يشترك في حرب تطول مداهها يكون أرغب في
القتل من غيره . ومن يفكر في ارتكاب جريمة . لا يرتكبها بمجرد التفكير فيها ،
بل يفذهها عندما يبلغ به التفكير فيها درجة الإنحاء وقد يرتكبها ببساطة طبيعية ولو
كانت أشنع الجرائم .

وكاتب هذا المقال يعلل الجنسية كما دعاها — بأنها شيء تدفع إليه الضرورة
وما ضرورية ذلك إلا الجوع . يقول :

و قد تدفع الظروف بالمرء إلى حيث يشعر عليه وجود الطعام فيدفع الجوع إلى أن يفتات بأول شيء يصادفه . والجوع لا يعرف الرحمة وتدها المعدة تختفي معه العواطف وتفر منه حتى أنساية بني آدم . — و على هذه الوثيرة يسير في تعليل أكل لحوم البشر والاعتقاد عليه . في حين أن الأرجح أن لا سبب لهذه الظاهرة إلا الإجماع الذي تخلفه العادة أو لا ثم يصير من بعد ذلك شيئاً ضرورياً من مقومات الحياة ، فيلوع لمن لم يرجع إلى أصله كآفة شيء طبيعي تدفع إليه دوافع طبيعة

٥ - مجلة المشرق التي تصدرها إدارة آباء كلية القديس يوسف
عدد يوليو - ١٩٣٩ - من مقال بعنوان : قس بن
ساعدة ، - ماذا نعرف عنه - بقلم ميشيل سليم كيد

من خطب قس بن ساعدة

« أيها الناس : اسمعوا وعوا ، وإذا وعيتم فانتصعوا ، أنه من عاش مات ، ومن
مات مات ، وكل ما هو آت آت ، مطر ونبات ، وأرزاق وأقوات ، وآباء وأمهات ،
وأحياء وأموات ، وجمع وشخات ، وآيات بعد آيات . ألا إن أبلغ العظات السير في
الفلوات ، والنظر إلى محل الأموات إن في أشياء خيراً ، وأن في الأرض لعباً ،
ولا شك عندى مطلقاً في أن قوله : ألا أن أبلغ العظات السير في الفلوات
والنظر إلى محل الأموات ، - مدسوسة على قس ، فانها من أول الخطبة ، كالقصة الخراب
في تصور الجغرافية ، كما يقول الأستاذ صادق الرافعي . وإني لأذكر مكان هذه القطعة قطعة
أخرى حفظناها ونحن في المدرسة هي أكثر انساقلوب الخطبة من هذا الكلام البور وفيها يقول
« يا معشر إباد ابن الآباء والأجداد ، أين الفراغة الشداد ، أين من بني وشيد ، وأنش نحد ، أكلهم
الدهر بكل كفة ، ومن قهم يتناولوه ، فذلك أجسامهم بالية عوييتهم خاوية ، عمرتها الذئاب العاوية ،
ويزيد بعض النساخ على هذه الخطبة قوله

« أقسم قس قسما : لا خائنا فيه ولا آثما ، إن قهديناهوا أحب إليه من دينكم الذي
أنتم عليه ، ونيا قد آت أوانه ، وأظلمكم إياه ، فطوبى لمن آمن به فهداه ، وويل لمن
خلفه وعصاه » .

ومنزلة هذه القطعة من الاشغال أرجح عندي من منزلة الأولى
ثم أنشأ يقول :

في الزاهيين الأولى ن من القرون انبساط
لما رأيت موارد الموت ليس لها مصادر
ورأيت قوى نخسرها يعضى الأصغر والأكبر
لا يرجع الماضي ولا يبقى من الباقي غير
أبقت أنى لا عالة حيث صار القوم صائر
ومن خطب قس التفتة :

أيتها الناس ! شارفوا بإبصاركم في كثر الجديدين ثم ارجعوها كليله عند بلوغ
الأمم فان الماضي عظة للباقي (١) ولا تجعلوا الغرور سبيل الفخر فتقطع حجتكم
في موقف الله سائلكم فيه ومحاسبكم على ما أسلفتم. أيتها الناس ! أمس شاهد فأحذروا
واليوم مؤذبه فأعزوه وغداً رسول فأكرهوه. وكونوا على حذر من هجوم القدس
فان أعمالكم تطلق أبدانكم والصراطع ميدان يكثُر فيه العثار قال سالم ناج والغابر في النار .
ولم يعرف أن قساً وصف ما بعد الموت ولكن أمية بن أبي الصلت معاصر قس ومن
زبان أباد المعتردين له ما يأتي

فكل معمر لا بد يوماً وذى دنيا ، يصير الى الزوال
ويبقى بعد جدته ويلى سوى الباقي المقدس ذى الجلال
وسيق المجرمون وهم عراة الى ذات المقامع والتكال
فتادوا : ويلنا ويلا عظيماً وعجوا في سلاسل الطوال
فيلسوا ميتين فيستربحوا وكلهم يحسر الناحال
وحل المتقون يدان صدق وعيش ناعم تحت الظلال
لهم ما يشتهون وما تمنوا من الأفراح فيها والتكال

وعندي أن البيت الأخير في غاية الضعف لا يتسق وريقة القصيدة مطلقاً . وقس
ول من أفتح الخطابة بكلمة : أما بعد . ومن مأثور قوله :

« من قاتله حسب نفسه ، لم ينفعه حسب » .
 « البيعة على المدعى ، واليمين على ما أنكر » .
 ومن خطبه الذائعة قوله :

« أيها الأشهاد ! أين تمود وعاد ، أين الأيام والأجداد . أين ذهب أبرقة ذو المنار ،
 وعمره ذو الأذعار ؟ هل تدرون ما صار إليه عبادة الفلاح ، وأذينة الصباح ، وجذبة
 الوضاح ؟ غزوا قهروا ، ونهوا وأمروا . وجددوا المصانع والآثار ، وجدولوا الأنهار ،
 وغرسوا الأشجار » . واستخدموا الليل والنهار ، فهجعت الآجال ، دون الآمال . ألا
 وأن كل شيء إلى الزوال » .
 ثم أضاف يقول :

قد كنت أسمع بالزمان ولا أرى أن الزمان يطبق نفج جناحي
 فأراه أسرع في سعي أصبحت بجنا متون عوارضني وصفاسي
 وأنا الكبير لنسبة في قومه هيات لكم ناسحت من أرواح
 صالحت بنا جدن وأدرك مولدي عمر بن عمرو ، بتقي بالراح
 والقبيل ذو يزن رأيت محله بالثبير بن جنادل وصفاح
 فتلك الزمان بملك حمير فتك نسعى بكل عشية وصباح
 أودى أبو كرب ، وعمر وقيله وأباد ملك أذينة الصباح (١)

وعندما بارهقه المنار فأصبحت أيامه ، ملوبة الأصباح

لأتمس في شك المنون ، أما ترى أيامه مشهورة الأيضاح
 لأتأمن مكر الزمان ، فإنه أودى الزمان بشمر الوضاح
 برك الزمان على بن هاتك عرشه وعلى أذينة ، سالب الأنواح
 أتبعه أملاك مضوا من حمير يرجي الفلاح ، ولات حين فلاح

(١) في الأصل الذي نشرته المشرق يقول : « أذينة الوضاح » وهو خطأ واضح
 سعي من سياق الخطبة ذاتها .

من ذا تصافق كفه كفه الردى بشرى النقي ، عن ربيعة الأرواح

٥٥٩

يقول كاتب هذا المقال

وعما يلصق بقس ، بعض كلمات حكيمة زعموا أنه قالها لقبصر حين وفد عليه

مرة فقال له قبصر :

ما أفضل العلم ؟

— معرفة الرجل نفسه .

ما أفضل العقل ؟

— وقوف المرء عند علمه .

ما أفضل الأدب ؟

— استبقاء الرجل ماء وجهه

ما أفضل المروءة ؟

— قلة رغبة المرء في اختلاف وعدوه .

ما أفضل المال ؟

— ما قضى به الحق

يقول الكاتب — إنها كلمات على جانب عظيم من الحكمة والعقل ، كلمات حوت

أتم النصائح ، لا تظن أن فسأ قائلها ، ولا شك أن العرب انهموه (١) بهالما أطلعوا

على آداب الاغريق ، فأراد الزعم بوجود حكيم عندهم ياتل ديوجينيس في اجابة الرد .

الحكيم ، ولم يجدوا مرتعاً أنصب من قس ، قالوا هذه وكفتوه بها ، (٢)

ولست أدري أي دليل يستند اليه الكاتب في منعه هذا ، ولا تظن أن العرب

في جاهليتهم يعجزون عن مثل هذه الأجوبة ، وكان منهم مثال قس ، اسقف نجران ،

وزهير بن أبي سلى وسحبان وائل والمهلهل والمقعن الكندي وامرئ القيس وأعشى

معيون والحارث بن حلزة البشكري وطرفة العبد وغيرهم . فلماذا تكون هذه الأقوال

الحكيمة لليونان ولا تكون للعرب ؟

(١) أسخف التعبيرات وأبعد ما عن المقصود (٢) يا حفيظ يا معيث ١

بَيْنَ الْأَدْبَاءِ

ونشر في هذا الباب الرسائل التي دارت بين كبار
الأدباء والطرف التي تقال في مجالسهم ، تكميلاً للناحية
الناقصة ، وسداً للفراغ الناشئ عن إهمال هذه النواحي
التي يعتمد عليها المؤرخون في تسجيل تاريخ العصر الحديث .
ومن مميزات هذه الرسائل أنها كتبت عفو الخاطر ، فلم
يتعمل كاتبوها ولم يتكلفوا تزويقها وتمييق عباراتها لأنهم
لم يكتبوها للجمهور من الناس بل لأصدقائهم خاصة .
وسيتعرف القراء من هذه الرسائل نواحي كثيرة كانت
جد خافية عليهم . فقليل أكثر القراء يجهلون مثلاً أن
الأستاذ العالم الجليل فريد بك وجدى بك شعراء والعصور
ترحب بكل ما يردّها من حضرات الأدباء من هذه
الطرق .

ARCHIVE

إلى الأستاذ العلامة فريد بك وجدى

الا من لسان بين جنبي نوقد	إذا ما خبت أذكي لظاها محمد
وقلب أبي إلا مقاماً على الأسى	تصدعه ذكرى خليط تدد
فيا قلب حاتم الهوى لك شاعل	وياجفن حاتم المنام مشرد
أنه زفرائى وأحبس عبرتى	فلا زفرتى تخبو ولا الدمع يجمد
أرى كل حسن فى الورى يذكر أياكم	فترادى ، فشوقى تحوكم ليس بنفد
يذكرنى طيب الرياض وحسبها	شجائل ينسى الروض فيها يزهد
ويذكرنى ضوء الصباح إذا بدا	يجلى ظلام الليل والليل أريد
براهين تجلو الشكسوه ومطرب ،	ويعلوها صرح الهدى ويؤيد
فلا زلت ذخراً للبلاد فأتما	بأمثالكم ترقى البلاد وتسعد

أحمد الزين

إلى الأستاذ الشاعر المجيد أحمد الزين

وفت يتقاضاها ولاء وموعد ووفيت بمحمد وفي غرام محمد
فأيه أيازين التريض ومجده وأنت لما أرجو بابه لأرشد
أقتصر روح الشعر بعد أنهارها فقر بك الطائي واعتز أحمد
وما زلت حتى جددت فديعه يحدك، وأزدان الطريق المولد
أراك كتابي عندك شغل تراخفت كتابيه ترمي إلى وتصمد
والى أدرى بالذى يستيجني وما هو إلا العلم لا الهو والدد (١)
فدونك من قلب حواك تحية يكررها نفع الصبا ويحمد

محمد فريد وجدي

إلى الأستاذ عبد الله عبد العزيز (٢)

أخي :

الآن وأنا أكتب إليك — أذكر حديثك أنني فشلت حين تحرك القطار، وأنت
مسافر إلى فرنسا —

وهنا بأسيد مفترق الطرق —

نعم، كان مفترق الطرق، يا عبد الله، فهل يتيح لنا الزمن أن نذهب إلى فرنسا — كما
ذهبت — ونستمع بأحاديثك المعجبة في تلك البلاد المشرقة بالحياة.

أقد طالما دارت بنفسى هذه الأمية منذ زمن الطفولة، حتى قلت — وأنا في
العاشرة من عمري — متحلاً أنني قد خلقت أرجاء البلاد —

وطفت بلاد الله شرقاً ومغرباً كأن زمام الدهر طوع بسانى
ومنعت بالأسفار نفساً مشوقة لرؤيتها قبل انقضاء زمانى
ولعل هذا أول شعر قلته في حياتي :
ويعد فتى تراك يا أخي !

(١) الفرح والسرور

(٢) من رسالة كتبها الأستاذ سيد إبراهيم إلى الدكتور عبد الله عبد العزيز حين
كان في مونتلييه

أخى قد مرت الساعات والأيام تلوها
ولم نعم بليلاك ولا بالكتب تولها
فهل أشجك مصر اليوم أم هل أنت ناسيا ؟
وهل تذكر أباما نعمنا مدة فيها
فطوراً في شوارعها وطوراً في حوارها
وطوراً في حدائقها وطوراً في ضواحيها
وطوراً في معاصدها وطوراً في ملاحبها
أنتى هذه الأيام م ، أم أشجك عاضها ؟

أخى إن البقاء الزر في الدنيا لأهلها
وما نعم بالذات بل تشقى بما فيها
فهل يدخر الحبيب للغير الناس بأريجها
تبارى الخلو والمر وبابها وخافها

متى نجمعنا الدنيا متى تصفر ليها
إذنت أغفر للدهر ذنوباً لت أحبها

« سيد إبراهيم »

إلى الأستاذ المhraوى (١)

أبت زفرة المشتاق إلا تصعبا وإن كنت لا تزداد إلا تعطلاً
أأفود حقونى أن ترى النوم بعدكم فما بالكم بعدى تطيون مرقداً
وتسكب غنى الدعوى لبيكم فما لآ فبكم على البين جعداً
تذكر زمناً قد تولى بغيطة وعيشاً لنا ما كان أحلى وأرغداً
لعلك يوم البين أجريت عبرة على بعد من لو بنت كان لك النداء

(١) من كتاب بعث به الأستاذ أحمد الزين إلى الأستاذ محمد المhraوى

أعاب من لو كان يشهد لوعتي
 يرق لي الأصباح أن يرعرتي
 وما عيش من لا يطرق النوم جفته
 يود لو أن الليل أبداً نجته
 فوالحفا إذ بطلع الصبح مسفرا
 أرى الماء يصفو كي يذكرني أحبا
 وتيسر لي الأزهار تحسب أنني
 لعل زمانا منك يوماً يعود لي
 عليه لأمسى النوم عنه مشردا
 فيسكن كما أبكي بدع من الندى
 فيصبح عجزونا وعمى فسهدا
 فليس يرى غير الكواكب مسعدا
 ولست أرى فيمن أراءه محمدا
 شمائله أصفى من الماء موردا
 أراها فأنسى بشره والتوددا
 فهدأ أشجائي وأشفي بك الصدى
 أحمد الزين

من الدكتور أبي شادي

إلى الأستاذ كامل أفندي كبلاني

يا صديقي العزيز هـ كامل هـ حبيب
 ليس أسمى من المحبة أهدا
 وأزالك الغنى عن كل شكر
 إن من طبعه المحبة والآد
 ولو اخترت في الكون مثالا
 فذاك الذي أخلف كالا
 وتحممت في سنين قوالت
 واتخذت التواضع الخلو كالند
 فإذا أصبح الصغار أمسا
 فعليك الملام وحسدك في بعد
 وإذا أنكر الغبيون جسدوا
 فلا أنت الذي تسامى ولم يعد
 من قلب وهبته صفو قلبك
 فيقول لي سوى بجملة حبك
 كغناء الضياء والطيب عنا
 يضاف يغنى بطبعه حين يغنى
 لرقاء نعتت سيّد خلق
 من نبوغ إلى مكارم خلق
 كنوا إلى الأعباء - تهذيب جميل
 بر لمسا قد وهبته من جميل
 إذ وما زلت أنت محض الأديب
 شكّ جنب الأريب غير الأريب
 لك وأما لهم مثال الجحود
 بأعسا قاله شيوخ القروا

عزاء (١)

عزاء ، فقلبك — إن يثخن — تكشف عن جوهر متخبا
 له من عقيدته مفرع ومن حسن أعماله محتسب
 وإن له الجول (٢) الخالدا ت ، يبيض من وجه الأدب

محمد فريد وجدي

(١) بعث الأستاذ محمد فريد وجدي بك هذه الأبيات إلى الأستاذ أحمد الزين

يعزبه بها في خاله. (٢) القصائد التي تحول البلاد



أطلب من دار المصور للطبع والنشر

بشارع الخليج المصري : بالقاهرة بمصر

الإشراف

أقوم بحث في حقيقة الاشتراك ومناقشة مبادئها

نظرات في تاريخ الإسلام

• واشترط على نفسي أن لا أنعرض لذكر ما أعتقده فيما أجده
مخالفا لما أعتقده ، فإن التقرير غير الرد ، والتفسير غير النقد ،
• فخر الدين الرازي ،

(٣)

ومن ثم ترى أن الحزب المناوي للإسلام لم يبدأ له بال حتى أخضع المدينتين
المقدستين إخضاعاً ، وحتى جعل مسجد المدينة اسطبلًا ، وحرق الكعبة ، وأذل أبناء
مؤسس الإسلام إذ لا وأرغم أنوفهم أرغامًا .

ولقد دخلت تلك الفئة القليلة في الإسلام مرحلة كارهة في جملة من دخل فيه من
العرب ، ثم عرفت فيما بعد كيف تدفع ثمن هذا النصر المصاعف ، غالياً .
وما كان عصر بني أمية كراه إلا انتقاماً وثورة على الإسلام وانتصاراً للبدا الوثني
ولقد كان الخلفاء أنفسهم — إذا استتب الساذ منهم — لا يباهون للدين ، وإن
شئت قل أنهم كانوا من الجاحدين ، لا ترى إلى أحدهم — وهو الوليد الثاني ، كيف
يطرح به الاستهزاء إلى أبعد مدى ، وكيف يذهب إلى صلاة الجماعة مصطحباً معه
بعض عظمائه ، وكيف يتخذ من المصحف هدفاً له يخرقه بالنشاب (١)

(١) قالوا انه فتح المصحف ذات يوم فرأى فيه قوله تعالى : « واستفتحوا وحلب
كل جبار عبيد ، فنضب ومزق المصحف وأمرى به إلى الأرض وخرقه بالنشاب
وهو يقول :

أنوعد كل جبار عبيد فما أنا ذاك جبار عبيد

إذا ما جئت ربك يوم حشر فقل : يارب مرقني الوليد

وتشك الوليد واستهزأه بما لا يحتاج إلى تنويه ، وإن تغالى أعداؤه في احشائه شنع
إلى شنيعه ونسبه مخاز إلى مخازيه ، والوليد هو القاتل لما أحاط الثائرون بقصره — :

ولقد كانوا لا يرجون بالسلام من مسلم من الأمم التي يخضعونها من مبيحي
شام وقبط مصر، ومن الفرس وبرايرة شمال أفريقيا، وكانوا لا يشون بالسلام
بذه الشعوب نظراً لما يعرفونه من الباعث الحفيظ الذي يدفع جمهرتهم إلى التظاهر بالسلام

دعوا لي ه هندا ه و ه الرباب ه و ه فرتي ه

ومسمة حي بذلك مالا

خذوا ملككم لاني الله ملككم

فليس يساوي بعد ذاك عقالا

وخلوا سبي ه قبل عيرو ما جرى ه

ولا تحسدوني ان أوت هزالا

يريد بالبيت الأخير : ه اتركوا لي هذه الأشياء ثم خذوا الملك مني بعد ذلك

ن اتركه لكم في الملك ولا يهكم من أمري شيء ه بعد و قوله ه قبل عيرو ما جرى ه

مثل يضرب للسرعة

ولقد كان الوليد متهمكاً مستهتراً يميل إلى مراغمة الناس وبتجاهرهم بعصيانه

وآثامه واحتقاره ما اتواحتصوا على احترامه ه

قالوا : ه وكان شجاعاً شديد البطش طويلاً أصابع الرجلين وكان يوتد له سكة

حديد فيها خيط ويشد الخيط في رجله ثم يثب على الدابة فينزع السكة ويركب

دون أن يمس الدابة يده ه

حدث بعض الموالين للوليد فقال : ه

كنت عند ه هشام ه وعند ه الزهري فذكر الوليد فتقصاه وجاهده عياً شديداً ولم

أعرض في شيء مما كانا فيه فاستأذن الوليد فأذن له ه وأنا أعرف الغضب في وجهه

فجلس قليلاً ثم قام

فلما مات هشام كتب في فحمت إليه فرحب بي وقال :

ه كيف حالك يا ابن ذكوان ه

وكان مفروضاً على كل فرد لا يدين بالاسلام من الأمم المخطوبة في البلاد التي فتحها المسلمون أن يدفع الجزية ، فاذا أسلم فقد أعفى من أدائها في الحال ، وكان هذا الاعفاء من أكبر أسباب الدعاية للاسلام ، وقد دخل ملايين من الناس في دين

والطف المسألة في ثم قال — :

أتذكر يوم الاحول ، هشام الخليفة ، وعنده الفاسق ، الزهري ، وهما يمياني قلت أذكر ذلك فلم أعرض في شيء عما كنا فيه .

قال — : صدقت رأيت الغلام الذي كان على رأس هشام ؟

قلت : نعم .

قال : فإنه نفي الى عاقلاً ١ وإيم الله لو بقي الفاسق لقتله .

قلت : قد عرفت الغضب في وجهك حين دخلت ١ .

ثم قال — :

يا ابن ذكوان ! ذهب الاحول بعمرى ١ .

قلت — :

بل يطيل الله عمرك يا أمير المؤمنين ، ويجمع الأمة بقاتك فدعنا بالعشاء فتعشينا وجاءت المغرب فصلينا وتحدثنا حتى جاءت العشاء الآخرة فصلينا ، وجلس قال :
« اسقني » فجاءوا بإناء مغطى وجاء ثلاث جوار فصصفن بين يديه يميناً ويساراً ، ثم شرب وذهبن فتحدثنا

واسقني فصنعن مثل ما صنعن أولاً

فما زال على ذلك يتحدث ويستسقى ويصنعن مثل ذلك ، حتى طلع الفجر ، فأجصيت له سبعين قدحاً .

يقول : « ولعل هذا من أعنف مجالس الوليد ، ونحب أن لا ينسى القارىء أن راوى هذا الخبر ليس من أعداء الوليد ولا من المتعاملين عليه .

على أن للوليد أخباراً أخرى لأسبل لنا إلى ذكرها في هذا المقام لشاعتها وفسادها

الاسلام أفواجاً رغبة في التخلص من دفع الجزية وكان لهذا الاعتبار أكبر الأثر في قيامهم على هذا الدين . وقد قلل ذلك من خراج الدولة ، ونقص من بيت المال . وقد حصل الخراج الذي يجبونه عن مصر في زمن عثمان نفسه إلى أكثر من ضعفه بعد وفاة معاوية ، برمن يسير ، بسبب تماقت فقط مصر على الاسلام . وكان بعضهم يقبل على الاسلام لأنه عن لا يرون للدين في تخرسهم خطراً ، وبعضهم يطلبون حياً في المال وهرباً من الجزية ، وقد وضع الخلفاء قبولاً وشروطاً للدخول في الاسلام . ورفض كثير منهم أن يعنى المسلمين الجدد عن دفع الجزية محتجاً بأنهم لم يسلموا عن اخلاص ، وأن اسلامهم ليس إلا صورياً وأنهم لا يؤمنون شعار الاسلام .

وكان الخليفة عمر الثاني (١) هو الأمير الوحيد الذي كان مثالا للفتى ومحنة الدين فلم يأبه للمال وكان قلبه عامراً بالإيمان والتقوى . وقد بذل وسعه في نشر الدعوة إلى الاسلام دون أن يعنى بزيادة الخراج الذي كان هم غيره الوحيد .

ولقد قال له بعض عماله :
« إذا سارت الأمور في مصر على هذه الطريقة فسيفتح كل مسيحي مسلمين ،
وستفقد بذلك بكل الخراج إلا »

فقال له عمر :
« لو أسلم كل مسيحي فيا لكان ذلك أكبر معاناة تطلع اليها نفسي ، فقد أرسل الله رسوله نادياً ونبياً ، ولم يرسل اليهم ليجمع الخراج ويهيج الضرائب : »

ومن آيات استنار الوليد بكل شيء مما تواضع الناس على احترامه ، ذهبه إلى صلاة الجمعة وهو سكران وأرتجاله أرجوزة بديل خطبة الجمعة

وقد ذكر له أبو العلاء في رسالة الغفران : كما ذكر له ابن الفارح في رسالته إلى أبي العلاء : شئنا به تطاع القاريء أن يرجع اليها ان شاء .
ومن رأى أبي العلاء أن الوليد — مع استناده — ليس يدع في الخلفاء وأن له أنبياءاً ، لا فرق بينهم وبينه إلا أنهم يستروون ويخافون بعضيانه .

، المترجم ،

ويمثل هذا أجنب عامل خراسان أيضاً حينا شكاه أقبال الكثرين من الفرس على
الدين الاسلام لالشيء سوى رغبهم في التخلص من دفع الجزية ، وقال له: إنهم لا
يحتنون أيضاً .

فأجابه الخليفة

إن الله قد أرسل محمداً هادياً للناس الى الطريق السوي ولم يرسله اليهم ليعلمهم
الاختنا ، فهو لم يشدد في تنفيذ هذه الأمور بدقة لانه يعلم أن أكثر الداخلين في
الاسلام غير مختصين في ذلك ، ولكنه لانه يعلم - وهو محق فيما ذهب اليه - أن
أبناءهم وأحفادهم سيتشأون في مبد الاسلام ويكون منهم المسلمون الصادقون ،
الذين قد يفوقون العرب أنفسهم في الصلاح والتقوى . « للكلام بقية »



اطلب من دار المصور للطبع والنشر

ومن جميع المكتاب المعروفة

ماتح الفكر العربي

في نسوة وظوره بالترجمة والنقل عن الحضارة اليونانية

سَنَائِلُ وَأَرْهَافُ مَخَارِجُ مِنَ الْأَدَبِ

مَخَارِجُ أَعْرَابِيَّةٍ ابْتِهَا (١)

مَا لَاقَى حِمْرَةَ لَا يَأْتِينَا
يَقُولُ فِي الْبَيْتِ الَّذِي بَلِينَا
قَضَيْنَا أَنْ لَانَلِكُ الْبَلِينَا
نَالَهُ مَا ذَلِكَ فِي أَيْدِينَا
وَأَمَّا إِنَّاخِذْ مَا أَعْطَيْنَا
وَنَحْنُ كَالْأَرْضِ لَوَارِعِينَا
نَلَيْتَ مَاقِدَ زَرْعِهِ فَبِنَا

بَكَتْ فَلَمْ أَشَقْ (٢)

إِذَا مَارَادَ الْغَزْوُ لَمْ تَنْ هَمَّ حَصَانٌ عَلَيْهَا نَقَامُ دُرِّيْنَهَا
نَهْنَهَ فَلَمَّا لَمْ تَرَ النَّهْيَ عَاقَهُ بَكَتْ ، فَبَكَى مَا شَجَاها فَعَطِنَهَا

(١) قَالَتْهَا أَعْرَابِيَّةٌ رَزَقَتْ بَنَاتًا فَغَضِبَ عَلَيْهَا زَوْجُهَا وَهَجَرَهَا إِلَى بَيْتٍ قَرِيبٍ مِنْهَا ، فَكَانَتْ تَنَاقِشُ ابْنَتَهَا بِتِلْكَ الْآيَاتِ
(٢) قَالُوا : إِنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ كَانَ يُوْجِهُهُ إِلَى مَصْعَبِ جَيْشًا ، بَعْدَ جَيْشٍ فَيَهْرَمُونَ ، فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَاشْتَدَّ غَمُّهُ ، أَمَرَ النَّاسَ فَمَسَكُوا ، وَدَعَا بِسِلَاحِهِ فَلَبِسَهُ فَلَمَّا أَرَادَ الرُّكُوبَ قَامَتْ إِلَيْهِ أُمُّ يَزِيدَ ابْنِهِ . وَهِيَ عَائِشَةُ بِنْتُ يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ فَقَالَتْ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! لَوْ أَقَمْتُ وَبَعَثْتُ إِلَيْهِ لَكَانَ الرَّأْيُ ، فَقَالَ : مَا إِلَيَّ ذَلِكَ مِنْ سَبِيلٍ ! فَلََمْ تَزَلْ تَمْشِي مَعَهُ وَتَكَلِّمُهُ ، حَتَّى قَرِبَ مِنَ الْبَابِ ، فَلَمَّا يَسَّتْ مِنْهُ رَجَعَتْ فَبَكَتْ وَبَكَى حَشَمُهَا مَعَهَا ، فَلَمَّا عَلَا الصَّوْتُ ، رَجَعَ إِلَيْهَا عَبْدُ الْمَلِكِ ، فَقَالَ : وَأَنْتِ أَيْضًا مِنْ بَنِي ، قَائِلٌ إِنَّهُ كَثِيرٌ ، كَأَنَّهُ كَانَ يَرَى يَوْمَنَا هَذَا . حَيْثُ يَقُولُ : وَأَشْهَدُ الْيَتِيمَ الْأَوَّلِينَ مِنْ تِلْكَ الْآيَاتِ .

ولم يشه يوم الصباة بها . غداة استهل بالدموع شؤونها
ولكن مضي ذو مرة ، جئت بسنة حق واضح مستيها
صغير

خلافة عبد الملك

أحاطت بداء بالخلافة — بعدما أراد رجال آخرون اغتيالها
فما أسلوها — تنوة — عن مودة ولكن بعد المشرقى استألفها
وكنيت . إذا فابتك يوما علة . نلت لها (٣) أبا الوليد نالها

سموت فأدركت العلاء . وإنما يلقى عذبات العلاء من سما لها
ووصلت . فقلت كمك المجد كله ولم تفلح الأبدى السراى مصالها
كثير

ARCHIVE
ورثاء (١)

هذه الأرض أنا وأبونا حملنا بالكره ظهرا وبطنا
لأننا المرء فوقها ، هو لفظ فإذا صار تحتها ، فهو معنى
لو رجعنا إلى اليقين ، علينا أننا في الدنيا تشبه سجننا

إنما العيش منزل ، فيه بآنا ن ، دخلنا من ذا ومن ذا خرجنا
وخصوب الألبار لو طرن ما طرن في فلابد أن يراجعن وكنا

يحسب الهم عمره كل حول فإذا استكثر الحساب تمنى
مبتدانا ومتهانا سواء فلماذا من الأخير عجبنا ؟

(١) أعددت وأخذت أهيتك لها

(٢) من نظم حمود في رثاء أبي نصر بن حميلة صاحب الديوان

فوجدنا من بعد ما قد عدنا وعدمنا من بعد ما قد وجدنا

قد رأينا ، وقد سمعنا لو أن النفس ترضى عينا وتؤمن أذنا
لحدثات من الزمان — إذا أب كمين عينا منهن ، أضحكنا

لو دلت هذه الحائث ما د رى لما رجعت على الفصيحنا
صابع الأسهم الصواب لم يخ لى لأهدافين — عمد — ربحنا
تواري بالساري ونفى من وراء الضلوع ضربا وطعنا
مورد غص بالرحم ، فلولاً سبق من جاء قبلنا لوردنا

وأدري الدهر مفردا — وهو في حا ل — يشن الغارات — هنا وهنا
ما عليه لو أنهم كان أبقي من إلى نصر المذهب ركننا
والها ، للصغير برا ولتر ب — أنا مشفقاً وللأكبر أبنا
ما مثلت في فؤاده قدم العيش ، ولا أسكن أجوانهم ضيقنا
إن يكن للحياة ماء ، فما كا ن لنا — خير ذلك الوجه مونا

أغمض العين — بعده — فغريب أن ترى مثله ، وأين ؟ وأنى ؟
فالقصور المشيدات تعزى والقبور المبعثرات تنهى

صردر

قيس بن رفاعة يقصر بنفسه (١)

من يصل تاري بلا ظب ، ولاثرة يصل بنار كريم غير غمدار

أنا النذير لكم متى — مجاهرة — كي لا ألام على نهي وإنذار

(١) قالوا : لما قتل عبد الملك — مصعب بن الزبير ، دخل الكوفة ، فصعد المنبر ،

فإن عصيتم قتالي سأليوم — فاعترفوا أن سوف تلقون خزيًا فظاهر العار
 لترجمن أحاديثًا ملهمة هو المقيم، وهو المدح الساري
 من كان في نفسه حوجاء (١) يطلبها عندي، فإن له رهن بأحصار (٢)
 أفيم عوجته — إن كان ذا عوج — كما يقوم فدح النبعة الباري
 وصاحب الوتر، ليس الدهر مدرك عندي، وإني لفراش بأوتار

نادرة

قال أبو علي الفارسي:

دخلت مع شيخنا أبي اسحق الزجاج على القاسم بن عبد الله الوزير فورد إليه
 الخادم، فساروسر استبشر به، ثم نهض، فلم يكن بأسرع من أن عاد وفي وجهه
 أثر الوجوم. فسأله شيخنا عن ذلك — لاس كان بينهما — فقال له: «كأنت تختلف اليها
 جارية لاحدي القينات، فسئمتها أن تيعني إياها فامتنعت من ذلك، ثم أشار عليها
 أحد من ينصحبها بأن تذهبها إلى رجل، أن أمناصفها لهما، فلما جاءت أعلني الخادم
 بذلك فنبهت منشرًا لا ففدتها فوجدتها قد صاحبت لا ففكان مني ما ترى».

قال: فأخذ شيخنا الدواة من بين يديه، وكتب:

حمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي ثم قال:

«أيها الناس: إن الحرب صعبة مرة، وإن السلم أمن ومرة، وقد زيننا الحرب
 وزينها (دفعنا ودفعناها)، ففرقناها وألفناها، فحين ينوها وهي أمنا».

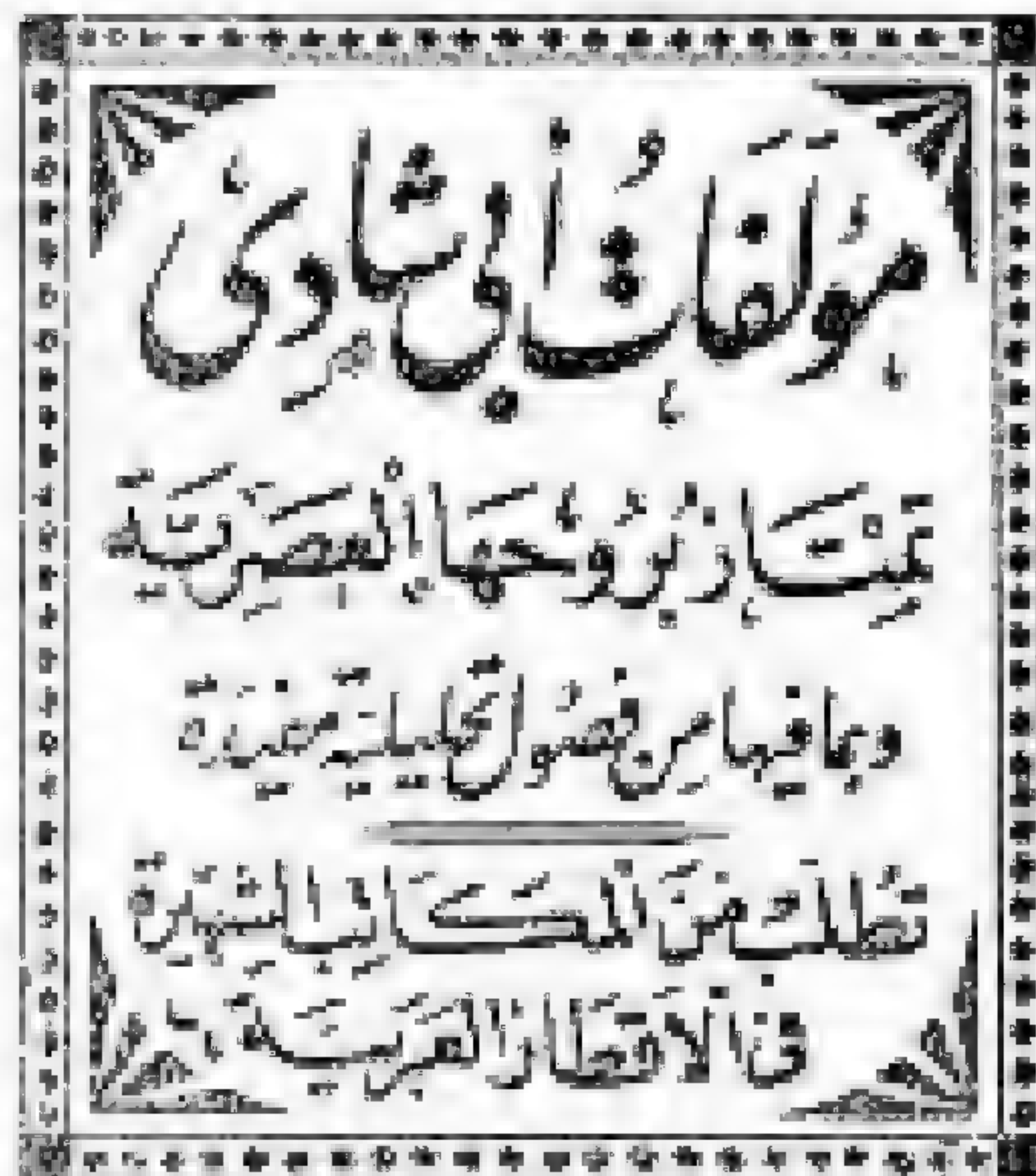
أيها الناس: فاستقيموا على سبيل الهدى، ودعوا الأهواء المردية، وتجنّبوا فراق
 جماعات المسلمين، ولا تكفروا أعمال المهاجرين الأولين، وأتمم لا تعملون أعمالهم،
 ولا أظنكم تزدادون — بعد الموعظة — إلا شرًا، ولن تزداد — بعد الاعتذار إليكم
 إلا عفوية، فمن شاء منكم أن يعود بعد ملأها فليعد، فإنا مثلي ومثلكم كما قال قيس
 ابن رقاعة: (وأشد تلك الآيات)

(١) حاجة (٢) يروى إلى الصحراء، أي أني لا أختفي منه ولا أستتر عنه

فارس ماضى بحريته حادق بالطعن فى الظلم
رام انت يدي قريته قاتفته من دم بدم (١)

(١) وهذه القصة رواية أخرى ، وهي أن المأمون حين دخل على يوراني بنت
الحسن بن سهل — بعد أن عمل لها من الولائم والأفراح ما لم يعهد مثله — وجدها
حائضاً ، فتركها فلما بعد ثلثي من الغد دخل عليه أحمد بن يوسف الكاتب ، وقال
يا أمير المؤمنين : هناك امرأة بما أخبرت عن الأمر باليمن والبركة والظفر بالمعركة ،
فأنشده المأمون :

فارس ماضى بحريته صادق بالطعن فى الظلم
رام اب يدي قريته قاتفته من دم بدم



الرحمان

قصيدة لافونس دى لامرتين



أيها العدم ! أيتها الهاوية الصامتة التي خرجت منها ، وساعد
 قلبها ، لماذا تركت المرء يغفل منك ؟ فقد كنت أنام في أحضانك يوماً
 عميقاً ، لا تزعجه أحلام ، ولا تخيفه يقظة ، يوماً هنيئاً وأنا ملتحف
 بالنسيان الأبدى في أزلية اللانهاية ، دون أن ترى عيناى هذا النهار
 الزائف الذي أمضته ، وهذه الحياة التي لا أجديها ، غير شقاء يتكدر
 فوق شقاء ، وتعاसे ترحم تعاसे .

لقد شاءت الأقدار أن آتى إلى هذا الوجود ، ولو خيبرت لا أثرت
 البقاء في غياهب العدم ، ولكن أئني نال إنسان أن يثوبه برأيه ، فقد
 حكم عليه أن يرى الحياة ، ولا مَرَدَّ لحكم القضاء ، فما ذلك الشفق
 البادى لأول مرة ؟ وتلك اليقظة المضطربة ، يقظة المخلوق الذي يحبل
 نفسه ، وهذا القضاء المتمدُّ أمامه ؟ وهذه النظرات العميقة ، التي يلقيها
 المرء سائلاً السماوات ، وهذا الافتتان المبهم والامل الذي يعلأ
 الجوانح ؟ ... كل هذا يبهـر بصره ، وهو لم يزل بعد على عتبة
 الوجود ، وفي فجر الحياة .

سلاماً ! أيها القمر الجديد حيث ألتفاني الزمن ، سلاماً أيتها
 الكرة الشاهدة لما يخفى لي المفقور بين طيات الغيب ، سلاماً أيها
 المصباح المقدس المغذى للطبيعة ، أيتها الشمس الحبيبة الأولى لكل كائن
 حي ، سلاماً أيتها السماء الحاجبة وجه الخالق العظيم ، وأنت أيتها الأرض

مهوّد الانسان . لأنّك قصر مُنيّف يقضى فيه المرء حياته الفانية ،
ثم يتحلّ غلافه الى ذرّات ، تندغم في ذراتك .

سلاماً أيتها الانسان ، الآتي الى هذا العالم الفاني على كرهٍ منك ،
انك تخدّيني وأخى ، وانت أيتها الكائنات ، يا أداة سعادتي وهنائي ،
— اذا كان كمّ هتاء وسعادة في هذا الوجود — سيري في الطريق الذي
خطّ لك ، غير عابثة بشعور يتألم ، وآمال تتحطّم ، فقد أضفت
بمجيئي اليك ، قلباً الى تلك القلوب الكبيرة ، وفؤاداً الى تلك الافئدة
المنسحقة .

انه لحكمٌ لذيذ ، يتأثر القلب ، ويستهوى الشاعر ، وليكنه :
وا أسفاه ! لم يخرج عن كونه حليماً فقد بدأ قريباً ، وانتهى وشيكاً ، لأن
الآلام المبرّحة فتحت لي قفل الأوان ، أبواب القبر ، الذي يتطلّع
اليّ ويدعوني ، فسلاماً يا يوسى الأخير ، وكن لي أجمل يوم اكتشفت
به عيناى في رحلى الارضية .

لقد عشت ، لقد قطعتُ مفازة هذه الحياة ، حيث تدبّل دائماً
تحت قدسيّ ، كل زهرة من أزاهير الهناء ، حيث دائماً الأمل يخدع
الامانيّ ، مظهرّاً الى السعادة في أفق خافت مضطرب ، حيث أنفاس الموت
الحارّ تيسس تحت شفتيّ كلّ البنابيع العذبة الباردة .

ولقد أرى غيرى يذوب حسرة على ما ولى من حياته ، فيلتصم
من الماضي عوداً ، يا كيّا على فجر ربيعك الآفل ، نادياً الاوقات التي
اقتطعها الزمن من حياته ، كأن العيش بهجة وصفاء ، لا تعاسة وشقاء
أما أنا ، فلو أنّ القدر بلّغني معنى النفس وامانيها ، وحبّاني

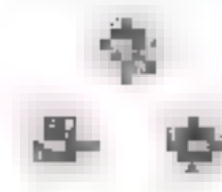
بالثراء والسؤدد والمجد ، واعطاني كل مفاخر العالم ، ومنحني الحكمة
والجمال والصبا الخالد ، لا عرضت عن التمتع غير آسف ، لاني لا اصبو
الى العيش في دنيا زائلة فانية ، تبدل ذبول وردة عند لفتح السموم ، دنيا
كل ما فيها مضطرب مشوش مبهم ، فالذكرى الخالدة تبلى فيها ويعفو
أثرها ، ويوم الهناء لا تبرز فيه شمس ، ولا يعقبه غد

أيها الألهيب الذي يفترسني ، أيها الروح ، أي شيء أنت ؟ هل
ستحيا بعدى ؟ هل ستألم اذا تركتك ؟ أيها الضيف الخفي المستتر ،
ماذا سيحل بك بعد هجري ؟ هل ستنضم الى مشعل النهار وتندغم فيه ؟
اذ قد تكون شرارة ضئيلة من ناره ، أو شعاعاً نائهاً يرتد اليه ، ويعود
الى مصدره ، أو عصارة نقيبة كونها الارض ، أو طيناً نفخت فيه نسمة
الحياة ، أو صلصالاً حياً مفكراً ، ولكن ماذا أرى ؟ لم ترتعد فرقاء ؟
أنتخى العدم وأنت فريب من الآلام ، أنتخا الحياة وترجف من
الموت ؟

أيها اللغز الخفي ، من يحملك ، ويفسر أحاسيك ؟ عبثاً أصغى
الى أصوات حكام العالم ، فالشك قد تطرق أيضاً الى هذه العقول الجبارة
اذ لم تخرج عن كونها مجبولة من صكصال كغيرها ، فنذ الفى سنة ونيف
افنى سقراط عمده باحثاً منقياً ، واحتذى حذو دافلاطون ، ولكن عبثاً
وها أنذا اليوم أسعى وأبحث ولن أفوز بضائتي ، وستمضى ألوف
السنين ، وبنو آدم يتخبطون في الظلام الذي نحن فيه ، والحقيقة
الشاردة بمنجاة من قبضة أيدينا ، والله وحده يجمع كل أشعتها المتفرقة
والآن وقد أوشكت أن أغمض عيني عن نور هذه الحياة ، فلا

أجد أقل أمل يواسيني في ساعتي الأخيرة ، فستسير رُوحِي دون دليل
ولا ضياء ، من ليل هذه الحياة الداجي ؛ الى ليل القبر الحالك ، حاملة
الى العالم المجهول ، فضائلي دون أمل ، وآلامي دون ثواب .

أَجِبْنِي أَيُّهَا الْقَضَاءُ الظَّالِمُ الْعَشُومُ — اذَا كَانَ ثَمَّ شَيْءٌ يَسِي قَضَاءً —
اذ لي الحق المشؤوم ان العن شرائعك ، فبعد كدَّ النهار وتعبه ، يحق
للأجير أن يأوي الى ظلال الراحة والهدوء ويقبض كراعه ، ولكن
عندما أنوء تحت رحل القَدَر ، لا يكون جزائي بعد مشقة الحياة وآلامها
غير الموت !



ولكن بينما في يدي بَشْتَنِ الشك والتجديف ، وعيناي تنظران
الى قبري ، وتبكيان على نفسي ، استيقظ في الايمان كأنه ذكرى لطيفة ،
والقي شعاعاً من الامل على مستقبل الكالح ، فأنعشني تحت ظل الموت
والهب قواي ، واعاد الى أيامي العتيقة شباب النفس وريعاتها ، فصعدت
تحت ضوء هذا المشرق المقدس ، من مغرب حياتي الى صباحها الضاحك ،
وتجلسى أمامي حظ الانسانية جماء ، وتبدى لناخري نظام الكون البديع
وتسلسل اشياؤه المنسجم ، وقرأت في صفحة المستقبل صواب الحاضر ،
فأغلق الامل ورأى أبواب العدم ، فاتحاً الأفق لرُوحِي النشوي ،
ومفسراً بالموت لغز الحياة .

وهذا الايمان الذي ينتظرنى على حافة القبر ، واأسفاه ! لقد تذكرته:
فقد حام فوق مهدى ، وهو الإبرث الخالد لارض المعاد ، يتركه الآباء
للأبناء من جيل الى جيل ، ويتقبله عقلنا منذ يقظته الاولى ، عطية إلهية

كما يتقبل الحياة ونور الشمس ، فهو الابن المُفْعَذَى للروح ، يفسكب من
 فم الام ، فيملأ جوانحنا قه ، وقلوبنا أملاً . يتغلغل الى الانسان في فاصله
 النفس ، فيشع نبراسه في الفؤاد ، قبل أن ينفثق الذهن ويمس العقل ،
 والطفل في مهده لا يكاد يتلفظ بمخارج الكلام ، حتى يتم قانونه السامع
 فيتمو في قلبه ، تحت رعاية الام الحنون ، جنباً الى جنب مع الفضيلة ،
 دون أن يشعر به حتى تتأصل جذوره ، فيورق ويشعر .

حذا لو أن الحقيقة جُولَتْ لهذه الارض ، فقد عُرِضَتْ على
 أنظارنا منذ طفولتنا ، وتسلت الى نفوسنا من كل جهة ، عن طريق
 الحواس ، كما يتسائل الشعاع الطاهر ، من الهيب السماوي ، فقد أحاطت
 بنفوسنا منذ انبثاق فجرها ، وانحدرت الى قلوبنا من مدار كذا ، فانضمت
 لتذكارنا ، وذابت في أخلاقنا ، كجبهة شمسية يذترها الشتاء ، فتثبت
 في أفقنا طويلاً قبل أن تفرخ ، حتى إذا جاوز الإنسان صيفه المملوء
 اعصاراً برزت أغصانها ، وتفتحت أكامها ، واينعت أغارها الالهية المخلود .
 أيتها الشمس السرية ، عيباح للعالم الآخر ، أعير عيني المطفأتين
 نورك الرمزي ، انبعث من احضان العلي أيتها الشعاع المعزى ، اشرق
 في قلبي أيتها الكوكب المحبي ، لطف نفسي ، ليس لي غيرك في ساعاتي
 العصبية ، فهذا العقل الانساني سراج ضئيل ، يخبو كالحياء على أعتاب القبر ،
 فتعال لتجلى على أيتها النور السماوي ، تعال لتضيض على جفني يوم الأسحباب فيه
 أعطني من الشمس التي لن أراها فيما بعد وأتر الأفتي كما ينير كوكب
 المساء ، لأحظى بحياة سرمدية خالده ، برهتها آجال ، ووهنيتها اجيال .

نساء العرب والحرب

للنساء في الإسلام حضارة واسعة المدى متراصة الأطراف إذ نبع منهن من
اشتهرن بالعقل والحكمة وسعة الإطلاع وكان لهن أكبر تأثير في الهيئة الاجتماعية
والانقلابات السياسية وضررين بسبهم وافر في مختلف العلوم حتى ظهر منهن من
قدن الجند وتولين الملك ومن شغلن مراكز كبيرة في الدولة . فضلا عن المشتغلات
بالفنون الجميلة والكائنات والشاعرات والطبيات والمشتغلات بعلوم الحديث والفقه
حتى أن جهابذة الرجال أخذوا عنهن وأجزن (١) للكثير منهم مثل العلامة ابن عساكر
المحدث والمؤرخ وأبو تواس الشاعر المشهور والعلامة ابن حجر العسقلاني المؤرخ
وغيرهم مما لا يتسع هذه المقالة لذكرهم

وقد حفظ لنا التاريخ أسماء النابغات منهن منذ صدر الإسلام إلى وقتنا هذا .
وسندلي بشذرات صغيرة عن اختراكن في ميادين القتال ومداوتهن الجرحى
واكباتهن بما لهن من حيل لمساعدة الجيوش

غزوة بدر سنة ٥ هـ - ٦٢٤ م في هذه الغزوة تقدمت أم سليم ورقة بنت

توفيل إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقالت له ائذن لي في الغزو معك امرض مرضاكم
لعل الله يرزقني الشهادة . قال قومي في بيتك فإن الله عز وجل يرزقك الشهادة . فكانت
تسمى الشهيدة

غزوة أحد شوال سنة ٥ هـ مارس سنة ٦٢٥ م من أبطال هذه الغزوة أم

حبيب نسيبة بنت كعب

وكانت أم قيس بنت عبد الله تغلا الماء في القرب وتلقي الجرحى
وبينا كان المسلمون يتقاتلون كانت النساء في حصن حسان بن ثابت ومعهن
صفية (٢) عمه النبي صلى الله عليه وسلم وإذا يهزدي يطوف بالحصن فنزلت صفية

(١) الأجازة بمثابة الشهادة في عصرنا

(٢) في تاريخ الإسلام لانهي أنها كانت يوم الخندق

وأخذت سيفاً وقيل هراوة فضربت اليهودي حتى قُتل.

غزوة تبوك سنة ٩ هـ ٦٣٠ م قبرا أعلن النساء الجيش بكل ما قدرن عليه قدمن

لرسول الله صلعم معاهد وخلائل وأقراطا وخواتيم لاعانة المسلمين في جهازهم
والناس في عسرة شديدة

فتح الخيامة - سنة ١٢ هـ ٦٣٣ م من غلبات النساء في هذه المعركة أم حبيب

نسيبة بنت كعب فقلت تقاتل حتى انصرفن وبهاجر اسنان. وأم عمار بنت كعب الانصارية

واقعة القادسية سنة ١٤ هـ - ٦٣٥ م اشترك في هذه الواقعة الصياني والنساء

مع المجاهدين فكان يدفن الشهيد وتعمل اليهن الجرحى لمعالجة كلوهم

ومن الشجاعات في هذه الواقعة النساء الشاعرة. قالت ومعها ثوبها أربعة

رجال فقالت لهم أول الليل

ويا بني انكم اسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين والله الذي لا اله الا هو انكم

لبنو رجل واحد كما انكم بنو امرأة واحدة فاختأ اباكم ولا فضحت خالكم

ولا هجنت حبيكم ولا غيرت نسبكم. وقد تعلون ما أسعد الله المسلمين من الثواب الجزيل

في حرب الكافرين. راعشوا أن الدار الآتية خير من الدار القايية. يقول الله عز وجل

ويا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا وانصروا الله لعلمكم فلاحون. فإذا أصبحتم

غداً إن شاء الله سالمين فاشدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين. والله على أعدائه مستصرين.

فإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها واضطربت لظى على ساقها ووجلّت ناراً على

أرداقها، فليسمعوا ويطيسوا وجاهدوا رئيسها عند احتدام غيظها تظفروا بالمنعم والكرامة

في دار الخلود والمقامة. وخرج ثوبها قائلين لنصحبها عازمين على قولها فلما أضاء لهم الصبح

بادروا إلى مراكزهم واستمروا يقاتلون حتى قتلوا جميعهم الله تعالى فبلغها الخبر فقالت

أحمد لله الذي شرفني بقتلهم وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعطيها أرزاق أو لادها الأربعة لكل واحد

مائتا درهم حتى توفي.

ومن نظمها

تعرفني الدهر نهباً وحزناً وأوجعني الدهر فرعاً وغمراً

وأقوى رجالاً قبادوا معا فأصبح قلبي منهم مستغزاً
ومن ظن من يلاقى الحروب بأن لا يصاب فقد ظن عجزاً
وفيها تقول

وليس للحرب أثوابها وليس في الأمن خيراً وقراً
مرج الصفر — سنة ١٤ هـ (٦٣٥ م) أقام المسلمون بها خمسة عشر ليلة من المحرم
ثم رجعوا إلى دمشق فحاصروها ستة أشهر إلا يوماً

ولما كانت وقعة اجنادين التقوا على النهر واشتد القتال وانتصر المسلمون وقتلت
يومئذ أم حكيم أربعة من الروم بعمود فسطاطها

واقعة البرموك (سنة ١٥ هجرية — سنة ٦٣٦ م) في هذه الواقعة انتصر المسلمون
انتصاراً باهراً على الروم وكان للنساء في هذا النصر نصيب يذكر بكل ثناء وانجذاب
فقد قاتل نساء من قريش بالسيوف حين دخلن المعسكر. فمن أم حكيم بنت الحارث بن هشام
ولقد كان هن في هذه الواقعة مواهب مشرقة والهن يرجع الفضل في نصرته المسلمين
ففي ميدان القتال بعد أن خطب ابراهيم بن حبيب في الجيش مشجعاً يرجع إلى النساء
اللاتي مع المسلمين. وكان كثير من المهاجرات قد حضرن يومئذ مع أزواجهن وابنائهن
وجلسن خلف صفوف المسلمين فأمر بالحجارة فلقبت بين أيديهن ثم قال لا يرجع
إلكن أحد من المسلمين إلا رميتموه بهذه الحجارة وقتلن له (من يرجوكم بعد الفرار
عن الإسلام وأهله عن النساء وهم أمام العدو ، الله الله)

ولما نشبت الحرب بين الفريقين وحى وطيسها تقهر بعض المقاتلين من المسلمين
فاستقبلهم النساء ومعهن عمد البيوت وأخذن يضربن وجوههم ويضربونهم
بالحجارة

وفي أثناء القتال انكشف فريق من المسلمين وثبت فريق آخر وركبت الروم اكتاف
من انهزم حتى دخلوا معهم المعسكر فاستقبلهم نساء المسلمين بعد الفساطيط يضربن
بها وجوههم ويرمونهم بالحجارة ويقتلن أين أين عز الإسلام والامهات والازواج ،
فيحطف الذين انهزموا إلى باقي صفوف المسلمين

واستمر القتال حتى شد طرف من الروم على عمر بن العاص فانكشف هو وأصحابه

حتى دخلوا أول العسكر وهم في ذلك يتشدون ويفاتلون فنزل النساء بعدهن من التل
فصرن وجوه الرجال ، ونادت في الناس ابنة العاص (فبح الله رجلا يفر عن حليته
ويعبح الله رجلا يفر عن كرمته)

وسمع نسوة منهن يلقن لسم بعولتنا ان لم تمنعونا ، فترد المسلمون وزحف عمرو
وأصحابه حتى عادوا الى قريب من موقفهم واجتمع المسلمون وحملوا على الروم حتى
اضطروهم الى صفوفهم وشد المسلمون باجمعهم شدة واحدة حتى تم لهم النصر
ومن بطلات هذه الواقعة أسماء ابنة يزيد فاتها قتلت بمسود خياتها تسعة ومنهن
هند ابنة عتبة أم معاوية بن أبي سفيان

ومنهن أيضا خولة بنت ثعلبة الانصارية

واقعة صفين سنة ٣٨ هـ — ٦٥٨ — ٣٥٩ م

كانت بين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومعاوية ، وكان النساء فيها شأن يذكر
وقد يسمع نداء الزرقاء ابنة عدي وهي تخطي على القتال وتوقد القهيرة في صدر
البيان وتجعل الحياة رخيفة . ولكن هذه الحالة تضيق عن حصر كلماتها هي
ومن ساذكرهن

فما قاله

وأيتها الناس ان الحق كان يطلب ضالته فاصابها قصيرا يا معشر المهاجرين علي
الخصم فكان قد اذعن شعب الثقات والتأمت كلمة الحق ودفع الحق بالظلمة فلا
يجهل أحد فيقول كيف راقى يقضى الله أمرا كان مفعولا ، الا وأن خطاب النساء
الحناء ، وخطاب الرجل الدعاء . . .

ومنهن عكرشة ابنة الأحرش كانت متقلدة سيفا وتنادي في صفوف المجاهدين
هأيتها الناس عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم . ان الجنة لا يرحل من
توطنها ولا يهرم من سكنها ولا يموت من دخلها . فاباعوها بدار لا يدوم تبعها ولا
تصرم همومها وكونوا قوما مستبصرين في دينهم مستظهيرين بالصبر على
طلب حقهم .

ومنهن أم الخير ابنة حريش فاتها كانت تعرض الفرسان على الثبات وتوجع في

قلوبهم نار الخيرة بما يهجنهم من الأقوال الحاسية. والمظاهر التي تلهب لها الصدور
غيره فمن قولا

يا أيها الناس اتقوا ربكم أن زلزلة الساعة شيء عظيم إن الله قد أوضح لكم
الحق وأبلى الدليل وبين السبيل ورفع العلم ولم يدعكم في عما مد لهم . فإن تريدون
رحمكم الله أقراراً من أمير المؤمنين أم قراراً من الزحف أم رغبة في الإسلام . أم
لوئذا عن الحق . أما سمعتم الله جل ثناؤه يقول ولبلونكم حتى تعلم المجاهدين منكم
والصابرين وتبلو أختباركم . . .

غزاة امرأة شيب

وفي سنة ٧٧ هـ (٦٩٦ م) حصلت وقائع بالموصل بين الحجاج وشيبان بن بدين
نعم فبعث إليه الحجاج خبة قواد قتلهم واحداً بعد واحد ثم خرج الحجاج لقتاله .
وكان يقابل مع شيب أم جهرة وامرأته غزاة وكانت غزاة من الشجاعة
والقروية بالموضع العظيم تقابل في الحروب بهما . ولقد نذرت مرة لتصلين
في مسجد الكوفة ركعتين تقرأ فيها سورتي البقرة وآل عمران فافقت على المسجد
في سبعين عاماً ففعلت فيه العتاة وأخرجت من ظهرها . وبرزت يوماً للحجاج
فكشفت عن عسكره وقصدت الراية فولى بين يديها منهزماً وفي ذلك يقول من يهجو

أسد على وفي الحروب نعمة فرعاء نزع (١) من صغير الصافر
هلا برزت إلى غزاة في الوغى بل كان قلبك في جناحي طائر
في سنة ٨٠ هـ ٦٩٩ م سار يزيد بن أبي كبشة فالتقى هو والريان السكري
بالبحرين ومع الريان امرأة تقابل اسمها جيداً وما زالت تقابل حتى قتلت

وفي سنة ١٢٣ هـ ٧٤٠ - ٤١ م - خرج عشرون ألفاً من الروم ونزلوا منطقة
فأغلق أهلها أبوابها وظهر النساء على السور عليهن العمام (٢) وقاتلن .
ولو للبقراف (٣) الأقطع أمير العرب بنواحي بغداد أروامجيدة في الحروب

(١) وفي رواية فتخاه تحقل من صغير الصافر

(٢) العمام . من أزياء النساء استعملت منذ الصدر الأول للإسلام وظلت موجودة

إلى القرن الثالث عشر الهجري

(٣) توفي رافع المذكور سنة ٤٢٧ هـ

فتح أرسوف ٦٦٣ هـ ١٢٦٥ م افتتحها الملك الظاهر بيبرس واشترك النساء مع
لجائدين وقدفن عداواة الجرحى والقيام بحوائج الجيش ومنهن من تولى جراح الجنين
هو عمل شاق بمثابة عمل الطوبى في الجيش

حرب الوهايين سنة ١٢٢٨ هـ ١٨١٣ م . سافر طوسون باشا من الطائفة و معه
٢٠ جندي للفارة على وترية ، طرب الوهايين ولم يحصل من قتال العرب مقاومة
لما اجراء عرب أبي جوم في تربة وكان قد لجأ اليها معظم عساكر الشريف غالب
يصارت تجمع كل الوهايين الموجودين في الجنوب . كما أن الدرعية تجمعهم في
السهل وكان قائد هؤلاء العربان في هذا الوقت أرملة اسمها غالية كان زوجها أشهر
رجال هذه الجهة وكانت هي على غاية من الغنى والثروة فوزعت جميع أموالها على
قراء العشائر الذين يرغبون في محاربة الترك . فلما أمر عساكره بالهجوم كان العرب
يحافظون على أسوار المدينة شجاعاً ومستبشرين بوجود غالية معهم وهي الخديعة عليهم
فهدوا طوسون وعساكره

وفي اليوم الثاني شرع طوسون وعساكره في التجهيز فاضطروا إلى ترك خيامهم
وسلاحهم وكانت النتيجة المتوقعة لهذا العمل أن يموت جميع العساكر ولو لأن شراسة من
الحيلة استردوا مدفعا وحفظوا بمنط في الرجعة وتطلعت بعد ذلك الاجراءات الحربية
بمانية عشر شهرا

(شذرات عن شجاعتين)

أم عطية الانصار بقتسية روى عنها أنها قالت غزوت مع النبي صلى الله عليه وسلم
سبع غزوات فكانت أصنع لهم طعامهم وأخلفهم في رحالهم وأداوى الجرحى وأقوم على المرضى
روى لنا الذهبي في تاريخه أن أسماء ابنة أبي بكر اتخذت خنجرا في زمن سيد
ابن العاص للصوم . وكانوا استفزوا من المدينة فكانت تجعله تحت رأسها .

جرح قتي من العرب فجاء إلى أمه يستقيها ماء فقالت له إن الماء لن يفوتك أبدا
اذبح فخذ تارك . وأخرجته ولم تبق هذه بحالة صغيرة عن اشتراك النساء المسلمات
في القتال راعيت فيها الإيجاز أثناء الليل . وقد أعطتا صورة واضحة عن شجاعتين في
حضور الاسلام وما كان لهن من أثر حسن في الفتوحات الاسلامية .

حسن عبد الوهاب

حقيقة الدهر

أوامم الجول

تَزَيَّنْتُ وَيَدُ الْأَيَّامِ قَدْ رَسَمَتْ عَلَى الْجَبِينِ سَطُوراً تُعَانِ الرَّأْيَ
أَنْ الزَّمَانَ شَيْءٌ يَلْهُو بِمُخْلَقَتِهَا كَمَا يَعْتَزُّ طِفْلٌ صَاقِي الْمَاءِ

لَكِنَّمَا الْمَاءُ يَصْفُو بَعْدَ حُلُوكِهِ وَخِلَقَةُ الْمَرْءِ لَا تُجَيَّلِي وَلَا تَصْفُو
فَمَا لَهَا تَخْذَعُ الشَّبَابَ وَاهِمَةً أَنْ الشَّبَابَ بِأَرْوَاحٍ طَائِفُهُوا

تَزَيَّنْتُ ثُمَّ غَالَتْ فِي تَزْيِينِهَا حَتَّى بَدَتْ كَقَتَاةٍ فِي قَنَوتِهَا
لَا فَرْقَ فِي الثَّوْبِ وَالْفَتَانِ مَرْتَفَعٌ يَعْلُو عَنِ الْجَوْرِ رَبِّ السَّامِيِّ لَوْ كُنْهََا

كَفَاكَ أَصَوْنِي سَلِينَا قَدْ عَجَبْتِ بِهَا وَخَافَنِ الْغَيْدِ تَلَهُوً وَحَدَهَا حِينَا
كُلُّهُ لَهْ وَقْتُهُ إِنْ زَادَ مَقْتُهُ كُلُّ الْعَبْوِينَ وَلَوْ قَدْ زَادَ تَزْيِينَا

الْحُسْنُ مِنْ نَعْمَةِ الرَّحْمَنِ مَوْهَبَةٌ لَا فِي الْمَسَاحِقِ، أَوْ فِي حَقِّ سَيِّمُونِ (١)
إِنْ كَانَ يَبْقَى جَمَالٌ فِي طَلَاوَتِهِ يَبْقَى الطَّلَاءُ عَلَى وَجْهِهِ بِلَا حِينٍ (٢)

صُوتِي السَّنِينَ قَدْ أَصْبَحَتْ صُورَةً مَا يُسَامِرُ الرَّمْلَ فِي صَحْرَاوَةِ الْجَبَرَةِ (٣)
وَتَحْبِرِي النَّاسَ عَنْ (مِينَا) إِذَا سَأَلُوا فِي مَصْرٍ، أَوْ سَأَلُوا فِي الصَّبِينِ عَنْ (يُودَا)

حسن - كامل الصيرفي

(١) حق سيمون : هو كريم سيمون المعروف ويعلمون عنه أن فيه سر الجمال

(٢) بلا حين : بلا وقت محدود

(٣) هو أبو الجول

مفتاح القلوب

الأستاذ الشاعر عبد الرحمن شكري في طليعة
الشعراء المجددين في مصر بل في العالم العربي . وكل دراسته
للشعر الحديث لا تتناول أجزاء ديوانه الخافض تكون في
اعتبارها ناقصة وقد أصدر حتى الآن سبعة أجزاء عامرة
من غيس الشعر ، وهذه القصيدة الوجدانية البديعة من
الجزء الثامن المحفوظ ، ونحن ننشرها مقتطعين شاكرين
لاتوجهنا بفضل هذا الشاعر الجليل الذي تكفينا مدى العمر
فتوحاته الماضية .

هل عندك الخير والخير عن معين السر يا قدر ؟
فبه لي أتق الأعادي وأخرف الصادق الأبر ؟
من قبل أن أقم العوادي وألق الصاب والصبر ؟
فأعرف الخافزات طورا إلى الموة أنت والسير ؟
باطلما غرتني ابتسامكم باسم قلبه كثر ؟
قد حرت دهرًا وعار من قوم زهاب الذي استسر ؟

هل عندك الخير والخير عن معين السر يا قدر ؟
ليقرأ العاذلون كحبي وبأمن الحب إن كفر ؟
وأحر قلبي إذا كنت أي وخالي الغادر المكر ؟
فيعرف الخلل أن قلبي أصفى من العذب في العذر ؟
قد أخفق الحب في بيان وأخفق المحقق والبصر ؟
وأخفق العيش وهو سفر يتلى على الحارم الحذر ؟

هل عندك الخير والخير عن معين السر يا قدر ؟
عبد الرحمن شكري

الامبراطور أبو مسلم

ومقالات (القتل السياسي في الاسلام)

كما أردنا وضع حد لهذا العبث التاريخي بعد أن نبها في عدة ردود على هذه المقالات التي تكتب تحت عنوان القتل السياسي في الاسلام بحريضة السياسة الاسبوعية. وأن هذه الحقيقة تنحصر في نقط محدودة من التاريخ الاسلامي في القرن الاول للهجرة. وأنه لمن الخطأ الواضح الاسترسال في ايراد القصص التاريخية معنوة هكذا ولكن بعد أن عحصنا النصح فلم يسمع لنا ما حضرنا أن يصرده تحت هذا العنوان جميع القصص التاريخية منذ بدء الخليقة إلى برفيات آخر ساعة من حوادث العالم وحتى تاريخ أوروبا القديم والحديث والتوراة القرآنية ونايليون وما أشبه ذلك : كما أنه ما حضرنا أن نستمر في ملاحظتنا على هذه المقالات لآمن باب الإهتمام بشأنها وإنما لنسلي بما فيها من سفاه

اعتدنا في ردنا على صاحبنا أن نقل بعض عباراته حرفياً ثم نأقشها منطقياً دون اقتيات أو تحامل وهناك أول ما بدأ به من المقال المعنى بهذا الرد قال أقدم اليك بشخصية من أضخم شخصيات التاريخ وأروعها. وأنا لا أعرف رجلاً قد تفوق علينا من المنطق والتاريخ يذهب إلى أن شخصية أبي مسلم من أضخم شخصيات التاريخ وأروعها إلا إذا كان لم يعرف من التاريخ غير أبي مسلم وإلا فإن أبو مسلم هذا من الحجاج بن يوسف وهو تلك الشخصية الففة التي حملت من اعباء الحوادث عاينوه تحتها آلاف أبي مسلم وأخضعت من رقاب كانت تطاول الجوزاء ونكست من رموس ما كان لتكسها سطوة كسرى ولا جهروت قيصر وأرغمت أنوقا لم تكن راغمة لولا عزيمة من الحجاج نكل دونها عزيمات الرجال ذلك الرجل هو ذو الشخصية التي يقال عنها بحق إنها من أضخم شخصيات التاريخ وأروعها ، ومن الغريب أن الحجاج تقدم في بحوث صاحبنا قبل ذكر أبي مسلم. فلم وقع نظره على هذا الأخير وتقدم به

مقرونة شخصيته بشخصية الاميراطور نابليون ، ومالك باهنا ونابليون في ذكر أبي مسلم وغير أبي مسلم من عمال وأجراء ومسخرين يعملون لمجد الغير وليس لهم مطمع في أن يستقلوا هذا المجد بل ولا ما كانت لتجرى به السنتهم إلا مقرونا باسناده إلى أهله والتوسل بهم في النجاح مسعاهم فهل كان ذلك شأن نابليون في حياته التاريخية ؟ أم أن نابليون شأن آخر غير شأن أبي مسلم من استقلال وعظمة وسؤدد وعبقريته فذة في الإصلاح الاجتماعي والسياسي والإداري وغير ذلك من المزايا والصفات التي لو عرفها ذلك المؤرخ لو فرغ على السياسة الاسبوعية ذلك الفراغ من صفحاتها القيمة لتشغل من غيره بكل قيم مفيدة . ذهب أبو مسلم إلى ابراهيم الامام وقبل يده فباركه ابراهيم وولاه الشيعة الخرسانية . وكون أبي مسلم شاباً أو شيخاً فليس هذا محل بحث المؤرخ المسئول الذي ينبغي مايقول ، وإنما يكفي أن نقول ان أبا مسلم كلف بالقيام بالدعوة العباسية وهو رجل تام الرجولة كان قد تجاوز سن ضابط نخرج عندما من مدرسة الحرية في هذا العصر فليس فيها فعل من مجهود ومأنا من نجاح غرامة بالنسبة إلى منته وليس هذا مما يصح أن يعطى أهمية تاريخية ويكون وجها من وجوه المقارنة بين أبي مسلم ونابليون وليس من المستغرب أن يقال الانسان مجده في ابلات شبابه بل هذا هو الاصل في نيل الرغائب والظفر بحاجات النفوس . يقول حضرته (وحيث أني قد طرحت بين يديك المقارنة بين هذين العظميين فاسمع ما أقوله عنهما) ثم بدأ بأبي مسلم فنقل فيه عبارة بن خلكان حرفياً حتى استغرقت صفحة من صفحات السياسة إلى أن انتهت بقتل أبي جعفر المنصور لأبي مسلم وبيننا نحن في مسأمتنا من تلاوة قصة بن خلكان وتاريخ أبي مسلم المعروف ننظر جديداً عن تاريخ نابليون حتى نعرف اتفاق الرجلين العظميين في المزايا والصفات وهما اللذان تقدم لنا بهما حضرته مقرونة شخصية كل منهما بشخصية الآخر . نعم . انظرنا وانظرنا طويلاً وباشتياق عظيم لأن يطرح أمامنا تاريخ نابليون كما وعدنا في مقدمته فإذا الامضاء الكريم واختتمت المقالة ولم تر أثرأ في التكلم على الاميراطور نابليون كما تكلم عن اميراطور أبي مسلم عدا المقارنة الفارغة التي صدر بها مقاله وعدا تلك الجملة الراكدة التي جعلت عرضاً ضمن كلامه وهي قوله (كذلك نابليون قلم لمجد فرنسا فأمن في

التوفيق وأخضع أوربلو غير أوربلو ورفع نفسه إلى العرش عقب الثورة الفرنسية إلى أن قال
(ومن العجيب أن حياة كليهما انتهت بفاجعة فالأول قتل بيد أبي جعفر والثاني مات
مهموماً في منقاه) وإلى هنا اعتقد هذا المؤرخ الساذج أن المقارنة قد تمت بين الرجلين
فقال (والآن وقد فرغت من هذه المقارنة فبأعود بك إلى المترجم) وحيث أن
حضرته تهرب من الكلام على نابليون لأنه لم يشر له على أن خطب كان آخر ينقل منه
عبارة فنحن نرحم ضعفه من هذه الوجهة ونناقشه في عبارة الصدر . يقول المؤرخ
لأبى في مقارنته اللطيفة (أن ذهب أبي مسلم إلى خراسان وحربها كان بعد العشرين
أظفر نابليون في استرلر كان بعد العشرين بسنين) كنت أريد أن أفحص عن هذه
النقطة المهمة من جهل هذا المؤرخ بتحديد سن كل من الرجلين في الحادثتين المهمتين
التي اختارهما للمقارنة بينهما ، لكن أمانة النقد تأبى إلا أن أتى بنقطة هذه الملاحظة
الدقيقة ليعلم القارئ ما إذا كان هذا المؤرخ يكتب عن علم بالتاريخ أم أنه مجرد
تهويز في أن يقول حضرته أن فلان ذهب إلى كذا بعد العشرين وآخر ذهب إلى
كذا بعد العشرين بسنين . مع العلم بأنه يظهر أن هذه هي النقطة الوحيدة التي عرفها من
تاريخ نابليون ، ومع ذلك جهل كم كان من نابليون بالضبط عند ظفرو في استرلر .
ولنعد إلى مناقشة في هذه المقارنة . أبو مسلم ونابليون كلاهما دعى للحرب والجلاد
وحضرته يقرر بأن كلا منهما كان يتجاوز سن العشرين فهل كنت بهذا تنظر أن
يدعى لمثل هذه المواقف الخطيرة — ليقسم عليها من — عراك وزال — الشيوخ
والكهول ما بعد الأربعين والخمسين ليعتمد عليهم في كسب المعركة ونيل الظفر ؟ فليست
المقارنة في اتفاق الرجلين في الشباب وقت نهوضهما وإنما فقط في الشيوخ والطموح
وخطورة الحوادث التي مرت على كل واحد منهما . فهل كانت هذه الأمور محل بحث
لهذا المصدي لأمر لم يخلق له ؟ ذهب أبو مسلم إلى خراسان وظفر نابليون في استرلر .
فما وجه المقارنة بين رجل ذهب إلى جهة وآخر ظفر بجهة أخرى . يقول حضرته
(إن أبا مسلم قام بالدعوة لبني العباس فأذل العرب ورفع بني العباس إلى سلوة المجد
بعد أن زلزل هذا العرش عيني أمية) فهل سمع الناس أنجب من هذا مؤرخ أبو مسلم
أذل العرب لبني العباس أو بنو العباس هم العرب وأصل العرب ومن أجلهم خضعت .

العرب، وليست مهمة أي مسلم أن يذل العرب لبني العباس فقط وإنما العرب وغير العرب، الدعوة إلى الجميع على حد سواء. وإن تعجب فمجب قول هذا المؤرخ (بعد أن زال عرش العباس ببني أمية) أي عرش جماعة كان قبل الآخرين، أعرش بني العباس أم عرش بني أمية؟ وإذا فكيف زال عرش بني العباس ببني أمية ولم يكن لبني العباس عرش قد وجد بعد ٩١ ألا يحق لنا أن نقول:

هذا كلام له خبي- معناه ليست لنا عقول

إن دعوة بني العباس في خراسان وغير خراسان كان قد أثمر ثمرها وأبهر وكانت قد وجدت من طبيعتها تربة خصبة بعد أن ستم الناس حكم الأمويين فإن كان أبو مسلم قد وقف على رأس الحوادث الفاصلة فهذا حظه من تاريخ حياته ولنا بتكرين ما كان عليه من مكانة متأخرة وشخصية بارزة على كثيرين من أهل زمانه كما أن لغيره شخصيات في التاريخ الإسلامي بل ربما فاقته مثل شخصية الحجاج التي سبق أنس نوها عنها وطاهر بن الحسين موطن عرش المأمون وهو ما إذا أحطناه بين رجال التاريخ كان العلم انفرادي غير هذا. وذلك كثير: أما إن أبا مسلم قتل مائة ألف فهذا عالم يذكره مؤرخ على أنه مزية من مزايا نابليون، أو أن السواد هذا الأمر إلى رجل من رجال التاريخ مما يشهد بعظمة هذا الرجل، وإنما يستوى في ذلك قطاع الطرق وزعماء العصابات المعروفة لكثرة فتكها بين الإنسان. وأما المقارنة بين الرجلين في فاجعتهما، فليس هنا وجه للشبه، إذ أن أبا مسلم كان قد اضطلع عليه ثاقب خليفة في الدولة التي عمل لها قتله، لا خشية أن يكون لأبي مسلم مطمع في الخلافة لأن أبا مسلم كان يفقد عناصر الخلافة ومزاياها في ذلك العصر، وإنما خشية أن يستعمل نفوذه إلى جهة أخرى تهدد خلافة العباسيين أو أبا جعفر بالذات. أما فاجعة نابليون فليست من هذا القيل بل هي نتيجة لمطامع الرجل التي ما كانت لتعده لولا أن وقف له القدر حائلًا دونها. فمكانة نابليون في التاريخ ترجع إلى أسباب ومزايا هي غيرها في أبي مسلم يكفي منها ما أشرنا إليه إجمالاً من النبوغ المدرسي أولاً ثم في الحركة العلمية التي تجلت فيها عبقريته حتى أدهشت الجميع ثم في مطامعه وتعديه العالم أجمع ليكون تحت نفوذه وتسلطانه، وغير ذلك من الصفات التي يعرفها كل من استوعب تاريخ نابليون.

أما القول المأثور عن المأمون بأن أبامسلم أحد الثلاثة الذين قاموا بثقل الأرض فهذا قول رجل في صدقته من ضنائهم، وليس فيه أقل دليل على أن زعيم الشيعة الخراسانية قد تفرد بمظلمة تاريخية استحق بها أن يضعه مؤرخ هذه الأيام في صف الامبراطور نابليون، ومن يدري ما لعل لحضرة عذراً في الاستدلال بكلمة المأمون إذا رماخيل إليه سيواً أو جهلاً أن نابليون كان قد تقدم عهد المأمون فأغضبه هذا من ذكر الثلاثة الذين قاموا بثقل الأرض وليس هذا بعيد على رجل بصرح له بالكتابة في السيادة الأسبوعية فيقول في عتب وجهل أن عرش بني العباس - قيل أن يخلق هذا العرش - كان مهبطاً لبني أمية ثم يأتي برجل من رجال القرن الثامن يضعه في صف رجل في القرن التاسع عشر فيقدم بهما في غير ما جعل مقرونة شخصية كل منهما بشخصية الآخر وهو عالم يعلم به أبو مسلم الخراساني حتى بعد إساءته إلى ستمائة ألف من بني جلدته ودينه الآمنين يقتلهم ظلماً وعدواناً خدمة لسلالة العباسيين فمن هم سادة نابليون إن صرح زعمك أنك تعرف شيئاً عن تاريخه ؟

مؤرخ

ARCHIVE

اطلبوا جميع ما يلزمكم

من

رسلنا منها
مكتبة الوقف
رسالة
وروايا مستنسخة
اجرة البيهقي
نشان الفلكي جواز روضة باب الوقف
ادوات كتابية
مجلد هندكثيرات
عمل خاتم كاوش
نخطوط جميلة

لأنها المكتبة الوحيدة التي تقوم بخدمة زبائننا بأخلاص فاعتمدوا عليها في جميع انحاء حوائجكم

في سبيل الصحافة

بقلم السير فيليب جيبس

مترجمة بقلم محمد عبد الحليم البرعي

مقدمة

لم تكن الحياة الصحفية يوماً من الأيام بالحياة الهتية عملاً وقل أن نكون موردًا للأثراء و إنما من الذين يتصحون الشبان بأن لا يتخذوا الصحافة فاتحة لأعمالهم ولا لأولئك الذين يودون حفظاً لكيان حياتهم ومعيشتهم موردًا مضمونًا ووفقًا منظمًا وحياة زاحية مرضية

وإذا كانت المستحيلات أربعة فإن الخامسة أن تسمع أو ترى أن هناك صحفياً بالمعاش يعيش البقية الباقية من أيامه على نمرات حياته الماضية وحسبه أنه مضطر أن يعمل ويكتب ويدون حتى آخر نسيئة من نسيات حياته بل حتى يسقط القلم من بين يديه وهو مكتوب على مكتبه وعلى عمله بل حتى يضرب به جرس الآلة الكاتبة آخر ضربة في وقت نيل رأسه وتنقطع أنفاسه ويصبح جثة هامدة ويسقط فوق جثة لم تكمل بعد

وبالرغم من كل ذلك فإن الصحافة لا تزال أحسن ملوى في هذه الدنيا للرجل الحاذق النشط الحائز على شيء من الطلاقة والفكاحة والممتاز ببعض الصفات في حسن استعماله للألفاظ وأن يكون فرق كل ذلك فضولاً بفطرته للوقوف على مبلغ حقيقة بهاء حياتنا التي تمثل على مسارح النهضة الاجتماعية وعلى شريطة أن يكون أبعد الناس عن الدنايا وأعظمهم تقواً وأشرفهم غاية

ولأستطيع أن أبين لحضرات القراء بعض ما يعترض حياة الصحفي من المخاطر وحرج المواقف أقص عليهم بعض القصص الآتية على سبيل التفككة

الحادثة الأولى

إن من الهزء والسخرية أن يجد الصحفي نفسه يوماً ما في بعض الأحيان في

حضرة عظماء العالم والقابضين على ناصية الحكم فيها وعلى أزمة الثروة أو أصحاب الجول
والجاء وفي وقت قد أخذ يفكر فيه ذلك المسكين فيما إذا كان أجروا عن المقالة القادمة
ستفي بأجر مسكنه الاسوي ويبقى بعدئذ بعض قطع فضة ترون في جيبه
الرب الثال

لقد سمعت الظروف ونقصت على هيئة الصحافة ان أقصى ذات مرة بعد ظهر
يوم من الأيام بحضرة ملك اسبانيا واشراف بلاطه رغم أنني لم أكن محققاً في أن
أكون بحضورهم وكان ذلك يوم زواج أمير من أمراء آل بوربون بسيدة تمت
بقرابة لملوك فرنسا اسلافها الأقدمين. ولقد كان الاحتفال بمنزلة انكليزي قد تم
في انضمام المندوبة من رايض الكنترا ومن أملاك ديوك أرباينز ولي عرش فرنسا
تتحكم الورثة وكما يطق بذلك شعار المنقوش على كل لوح زجاجي ومطروح على
كل قنصل وطوق منزله بنقش الذي احتفظ لنفسه فيه بحياة ملوكية ملوفاً وقد
العيش والعظمة والعظمة والحديقة به ما تصف به من الدعة والكياسة شأن هوى
الرابع جده العظيم

لم يستطع ديوك أرباينز أن يتحمل ثقل الصحفيين فأصدر أوامره المشددة
بأن لا يدخل أي صحفي قبل أن يتم صنع ذلك العيد الخامس بأكل الزواج وبطل
المنقوش ليحل معيدا ملوكيا قديم العهد حنية ليلة الاحتفال

ولضمان ذلك وحذرا من تسلل أي صحفي إلى ذلك المكان قد صفت قوة عظيمة
جدا من رجال البوليس والمخبرين على امتداد ثلاث أميال حتى غاية نورثن والحراسة
جميع المداخل أيضا

ولقد كنت مكثفا وقتئذ أن أمد بحقيتي بوصف شامل لكل الاستعدادات التي
كانت قائمة على قدم وساق وبقائمة بجميع أمراء وأميرات البوربون الذين يندون
من جميع أنحاء أوروبا

ولانحياز تلك الأمور على الوجه الأكمل وجدت أن خير طريق أسلكها هي
اكتراء عربة فخمة أقتني إلى غاية نرتن ومن غريب المصادفات وحس حظي اني
التقيت بعدد من العربات التي تقل ملكا وملكة اسبانيا وجميع أعضاء العائلة متراصة
على طول الخط بجميعة بيعة وجهها شطر انقسام فاستقبلني رجال البوليس ومخبروهم

كما استقبلت عربات بقية الأعضاء ومررت دون أقل معارضة من بين المداخل
العظيمة المطلاة بالريجة الذهبية والتي يعلوها ناج فرنسا وشعارها ولقد استقبلني فوق
ذلك القهرمان بمنتهى الحفاوة والاكرام فلما أتى أحد أعضاء البوربون وعلى ذلك
دخلت وملك وملكة إسبانيا وفريق عظيم من كرام العقيلات وأشرف البلاط
إلى المعبد وأخذنا نتج النظر ببدء صنعه ثم تعديناه إلى مشاهدة نفيس الهدايا المقدمة
للغروسين فالزينة المقامة بقاعة الوليجة المحلاة بحمير الأزهار حتى وصلنا إلى
اسطبلات الدوق

وكان ملك إسبانيا على جانب عظيم من الغبطة والسرور وكثيرا ما وجه إلى
شخصيا بعض ملاحظات بكل حفاوة واختلاص معتقدا أني أحد رجال الدوق
الأشراف وأخيرا أعدت ادرأحي في المساء بخرقة غطاء عظيم من رجال البوربون الذين
كانوا يحبوني على طول الطريق ومن ثم كنت وحدا معها بكل ما رأيت مما أدهش
جميع أصحابي وقرنائي

في اليوم التالي شهدت الحفنة ورأيت ذلك الاجتهاد العجيب — إلقاء الدم الملكي
للقدوم الفرنسي والآسيوي والتجاري معا —

ومن لطيف ما حدث أن لقيت في حفلة الزينة أحد البلاء الاجاب بعد أن
احتس من الكؤوس المفرحة ما تمليه فضل يترنح بنية وسرة وبشدة من الأغاني العامة
ما طرب ملك إسبانيا وجميع الحاضرين وأن أسخط عليه حوذي عربي التي أظنه بسلام



الحادثة الثانية

أن هذه الحادثة التي ظهرت فيها بين رجال البلاط البريطاني لتجملتي كلها
ذكرتها أشعر بتجمل عظيم لتفعل ذلك التفعل غير المرغوب فيه والذي لا أجد
أمامي ما يكفر عنه أو يبرره. وكان ذلك يوم شرع الملك جورج والملكة ماري في افتتاح
معرض المدينة البيضاء في لندن

أخذنا جلالتهمما يتفقدان المعرض ميدانيا في يوم مكفهر كانت فيه جميع أنحاء المعرض
كأكام قنود — برك ومستنقعات — مما أثار سخط جلالة وأفرغ حله فأخذ

يظهر لمن أوغى اليهم الأمر بشكل محسوس جام منقطه وغضبه على تلك الحالة و بينا هو مسترسل في كدره غاص قدمه في منقع فياض قد دقت الأوجال على كل ملبسه الرسمية ومن ثم أدركته الملكة ماري قاتلة (هيا يا جوج ج حتى تعود إلى القصر) فد ذلك اليوم احتشد الخلق ذرافات ذرافات أمام فناء المعرض بعد أن منعوا من الدخول حتى ينتهي الملك والمملكة وتدخل حاشيتهم رجال البلاط والشرافه ينتهون من زيارتهم أيضاً أما رجال الصحافة فقد حجزوا أمام مدخل المعرض العام بواسطة حبال شدت من طرفها إلى موقف استحبال عليهم رؤية أي شيء مما يجعاني على جانب عظيم من الكدر وضيق الصدر غير لم أني لم أعدم وسيلة إلى كدح زناد أفكاري توصلها لاكتشاف خير حل لأخراجه من ذلك المأزق المخرج وبعد قليل أقبل رجال البلاط معاوماً كانوا يخترقون مدخل المعرض حتى وقف رجال البوليس بينهم وبين الجمهور حداً ميعاً حتى لا يتسلل أي مخلوق خلفهم

وجدت الفاروق سائحة ومن العجز أن أدتها دون أن استعيد منها فأسرعت تخلف القرعة وسرعة البرق الخائف وتخطيت الجبل الخائل وفي أقل من لمح البصر كنت ضمن رجال البلاط كثفاً لا تكف

وقد حدثت لحسن حظي أن هذه الحركة حركة التطويق التي قام بها رجال البوليس قد حالت بين أحد العظماء (وزير فرنسا المفروض) وبين اتصاله ببقية رجال الحاشية، ولما كان ذلك الوزير يجهل الإنكليزية فقد حاول عبثاً اقحام رجال البوليس مركزه وحقيقته ولكنه لم ينل منه غير طعنة من كوعة في صدره أعقبتها صيحة الأمر الاهی « ارجع قافلاً » وعلى ذلك استتب لي الأمر وأصبحت الشاغل الوحيد لقراغ عجلي قوة واتساراً من حسن الصدق

واقف شعرت من طرف خفي ورأيت أن التحيرين قد أخذوا يعدون رجال ذلك الوقت الملكي وقد ظهر عليهم دلائل الاقتاع بأنه لم تعد العدالمعين الصادر لهم التعليمات الرسمية بشأنه ولما كنت أرعدى بدله رسمية بقلنسوة عالية حريرية فقد كان من السهل أن أظهر بمظهر الوزير الفرنسي المفوض أو على الأقل لم أكن مدعاة إلى الشك مطلقاً

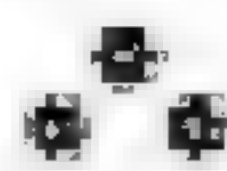
ولا يفوتني أن أذكر أن الشخص الوحيد الذي لاحظ اختراق النطاق من بين رجال ذلك الوفد كان السير ادوارد جراي (الآن فيكونت جراي) ولكنه لم يشأ قصاتي والتخلي عني بل ابتسم ابتسامة معنوية لجراي وتطفلي هذا وبرودي النادر، وفي الواقع أتى لم أكن على شيء من ذلك الجود والبرود كما يدل عياني ولكني كنت في أخرج المواقف التي قل أن تصيب شخصاتي الوجود وذلك أن جميع رجال الوفد قد أخذوا يتحدثون مع بعضهم البعض ماعدا الملكة الكسندرا التي كانت صماء فقد كان كل منهما أن تدرس كل المعروضات خلف ذلك الجمع عوضاً عن الدخول مع أي أحد منهم في أي حديث

ولما كان من الصعب أن أجد من أتحدث إليه فقد اكتفيت بالتفكير قليلاً خلف ذلك الجمع أيضاً بما استلفت نظر الملكة الوالدة التي أخذت تفضي إلى برقتها المعهودة ببعض ملاحظاتها على تلك المعروضات دون أن تسمع إجاباتي التي كان ملؤها التردد الظاهر

ولأول مرة في حياتي رأيت الاستقبال الملكي الصادر من بحر خضم من جماهير العالم رأيت كما يراه الملوك أنفسهم لا كما يراه جمهور الناس رأيت بحراً زائحاً متلاطم الأمواج من الأوجه المختلفة المعالم المشرقة الانخراط المواناة من الوف من الأوجه ذات العين الواحدة (لأن أغلب المحتشدين لا يرى غير نصف وجهه — فحين واحدة) وكلهم يرفرفون بمناديلهم ويهتفون بملء أفواههم في وقت تهتف فيه الموسيقى صارخة بقلبي الملك و

وفي وقت تفتحت مناظير عشرات من آلات التصوير وأديرت عشرات من أبدي آلات الصور المتحركة

ولما عدت إلى إدارة الصحيفة وجدت أن رئيس التحرير قد أذهله مناظر عدة صور شمسية وأنا أمير الهولندا بجانب الملكة الكسندرا أعناً مطمئناً. أما وزير فرنسا المقروض فقد علمت أنه احتج أشد الاحتجاج على سوء معاملته



الحادثة الثالثة

كان من غرائب المصادفات المدهشة وفئات الظروف الغريبة أنني ورز ميل لي

بصحيفة الكرونكل اليومية كنا أول من سمع بوفاة الملك إدوارد السابع من بين جميع مخلوقات ذلك العالم إذا استثنينا من كانوا بقصر بكنهام

ذات الشرارة الطيبة التي تصدر كلها آية في الحزن ولو أنها لم تكن مظهر اللباس وآخر نشرة صدرت ليلة وفاته ذات أحضل الشرارة بشراً وسروراً. كنت طول نهار ذلك اليوم واقفاً أمام القصر أكتب تحت وابل من الأمطار تحت حماية مظلي وصفاً مسهباً لتلك المناظر المذهلة التي كانت من أكبر المظاهر الدالة على مبلغ الحزن السائد على جميع طبقات الأمة الصادر من أعماق قلوبهم كلها فكروا في أن شمس ذلك الملك العظيم المحبوب ستغرب عما قليل وأن نجمه سيأفل وأنه سيرحل الرحلة الأبدية عن أنكلترا بل وعن العالم بأسره، وأنا لمعتقد الآن أنه فضلاً عن محبة ألوف من الخلق له لما أتصف به من حميد الصفات وجميل السجايا الفريدة والسياسة الحكيمة والمواهب النظرية ولقد كان هناك فوق كل تلك الاعتبارات شعور داخلي سائد في قواد كل شخص بأن في وفاة إدوارد السابع اضطراباً للنظم العام ونشوب حرب عالمية كبرى لا محالة

وإني لأذكر إلى اليوم أن أحد الذين كانوا مجتمعين تلك الليلة صرح لي بتلك الفكرة حيث قال حرفياً: «إن من بعد إدوارد حرباً عالمية كبرى طاحنة»

وإن من أكبر البينات على مبلغ احترامه ومحبة الشعب لتلك الملك أن جموع المحتشدين حول القصر كانوا الإعداد لهم والذين كانوا يرقبون صدور النشرة الطبية الأخيرة كانوا خليطاً من جميع طبقات شعب لوندون وما بين كوتسنت وبارونات وممثلين وممثلات من كبار رجال الأمة والسيلا والعمال والعاملات من برطانيين وأجانب وأجنديات من رجال السياسة وحملة الأقلام ورجال الأدب وأقطابه الإعلام وفي الساعة الثامنة من مساء تلك الليلة أو حوال ذلك الوقت دخلنا القصر مع بقية رجال الصحف وقد أكد لنا اللورد تويلز أن المستظر أن جلالة سيفضي ليلة هادئة ملؤها الطمأنينة والصحة والعافية وأنه ليس ثمة حاجة إلى إصدار نشرات طبية قبل صباح الغد فخلت ذلك الخبر السار إلى مكتب صحيفتي وبعد أن شرعت في الذهاب إلى منزلي أفهمي رئيس التحرير — شأن كل الرؤساء — أنه يأسف لاضطراري لأن أعود إلى أدراجي لأعطي ليلي بجوار السراي خيفة أن يحدث أي حادث

ولما كنت على جانب عظيم من التعب والأعباء فضلاً عن أن معدني كانت أفرغ من فؤاد أم موسى وكان الجوع قد أخذ مني كل مأخذ فقد أردت التخلّص من القيام بذلك المهمة وأبنت له اعتذاري غير أنه لم يسمع فأحتججت فذهب احتجاجي صرخة في دأري وهباء مشورا وآخر ما نلتني من وراء ذلك من خير وبلغ ما أصابني من ترددي أن آمن استصحباني زميل لي يدعى أوي ليشاطرتني السهر

وعبثا حاول وانتهى بنا الأمر إلى الذهاب مكرهين عليه تنفذاً

لمشية الرئيس

ذهبنا وكان أول عمل قنائه أن أسرعنا بتناول العشاء أولاً لئلا السد فراع معدنا الخاوية ثم اخترنا عربة ذات أربع عجلات وذهبنا إلى قنائه السراي واستعد كل منا لتناول السهر في وقت علاً الآخر جفوتاه فقط بالعربة

ولقد كان من حسن حظنا ومن عطف رجل البوليس علينا أن سمحت لعربتنا الصغيرة أن تلك العربة الوحيدة التي تظلي داخل قنائه القصر الملكي ورغم وجود مئات من السيارات الفخمة أمام القصر نقل كثير من عظماء الرجال الذين آثروا قضاء الليل على تلك الحالة

خلع أذن نعله واستعد للثوم أما أنا فقد أخذت أجوب القنائه جيئة وذهاباً أدخن آخر سيجارة وأنا أرقب عن كثيب المنظر الخارجي القريب لمئات العربات والسيارات

لم يمض على طويلا حتى رأيت عربة ملكية قارية جوق من القنائه الداخلي وهي تسير الهربنا ولم تكدر تمر من أمامي حتى تيمت عطف انعكاس أنوار مصباح القنائه أنها نقل من كان وقتئذ ولي العهد والأميرة ماري وكان يلوح على وجهيهما الناصع اليأس القاضية دماؤه دلائل الحزن البالغ وكانت أعينهما تذرف الدمع

فأسرعت الحظي حول عربتنا وقلت لزميلي همساً إنني أعنفد أن الملك قد غارق الحياة وفي أقل من لمح البصر كنا نهروا صرير مدخل رئيس استبيلات القصر وولجنا باباً مفتوحاً أمامنا وهناك التقينا بأحد رجال حاشية الملك الذي كان مولياً ظهره جهة الموقد يتحدث مع رجل مسن آخر تيمت فيما بعد أنه الوزير البلجيكي وسأله بكل أدب واحترام

« كيف حجة الملك الآن يا سيدي » وقع بنظره إلى ساعة معلقة في الجدار وقال على شقيقه ابتسامة صفراء. « ملؤها الحزن العميق ابتسامة من أقرب إلى الكلامها إلى السرور » وقال بصوت يقضي تأثرا

« يا سيدي لقد مات الملك أدوارد منذ دقيقتين »

والآن وقد تحقق الخبر من أحد الرجال الرسميين فلم يكن أمامنا إلا أن نسمع بنقل ذلك الخبر إلى مكتب صحيفتنا فقصصنا روا إلى نزل قصر بكنهام وهناك غاطنا رئيس التحرير تلفونيا

أما النشرة الرسمية فلم توزع على الجمهور إلا بعد ساعة من ذلك الوقت الذي تأكدنا فيه ذلك الخبر

وعند دعائي إلى منزل كان بين يدي عدد من أعداد صحيفتي وقد نشرت في افتتاحها حياة ومات الملك أدوارد السابع على سيرته كانت أسبوع الصحف إلى نشر الخبر »

ARCHIVE

احطب من دار العصور للطبع والنشر

ومن جميع المكاتب المعروفة

وَحَضْرَةُ الْمَلِكِ الْخَيْرِ الْحَيِّ

وعنه ومقالات أخرى

بقلم

اسماعيل مطهر

نقائبات

لفيلسوف العراق وشاعرها جميل صدق الزهاوي
هاتوا اذ كروا الى هاتوا ما هذه الكائنات
ما أنت من أنا ماذا وجودنا والحياة
ما هذه الارض قا مت فوقها الشاهقات
ما البحر تسبح بالنا رفوقه المنشآت
ما البر تقطعه كالز وابع القطرات (١)
وما الساء وتلك الا بعداد والفجوات
ما الانجم الزهر فيها والحنس الجاريات
ما هدم السدم الي من حشوها الثيرات
الى متى هذه الك يرات مشتعلات
ماذا تر يد هذا الاسر اع تلك الكرات
ما العقل ما الفكر ما ذا اذ كاه والملكات
ماذا الزمان وماذا من الزمان الفوات (٢)
وما المكان وماذا من المكان الجهات
ما الجسم ما الجذب ما ذا السكوت والحركات
ما ذا نهاية هدى الا كوان ماذا البداءة
وما الهوى يتلاقى له الفنى والفتاة
وفي اللقاء لئاذ وفي الفراق أداة

جمع ومن بعد هذا الجمع النظم ثبات

(١) جمع قطار (٢) المضي

وما لشيء زوال وما لشيء ثبات
وربما سوف تجد حل هذه المشكلات
اهدوا السبيل غويا ان كان فيكم هداة
بطيئة حين أمشي بعقلي الخطوات
يسرع عقلي ولكن تعرفه العثرات
اذا تفكرت كانت للشك في وخرات
في كل شيء اراه تحوم في الشبهات
لقد نظرت فما أن أغتني النظرات
كأنما كل تلك الاشياء مشترات
اوان عيني فيها اذا نظرت قذاة
وربما قلت حقا بفحاشي الكلمات
ورب قول صحيح ليطت به الغلطيات (١)
وسيات فريق لغيرهم حسرات

دع الغرور فما فيك وحدك الملكات
لكل حي على هذه الارض محترعات
ان كنت طرت فقد طارت قبلك الحشرات
او كنت غصت فقد غاصت مثلك السلحفاة
سلم قالت براهيني هذه مفحمات
لا يستوي النور عند البصير والظلمات
فما العداة عني ولا العشي غداة

الموت

تخلو الحياة ولكن ما للحياة ثبات
 قرب جيل وجيل تحت التراب وفات
 هنالك الناس تحشي عظامها الخرات
 الى ابلى سيقها الآباء والامهات
 كم في الوردى من جروح ما إن لمن اناة
 الشيب تبكي شبابا عاشوا قليلا وماتوا
 أما القبور فيألمو في قلبنا مثقلات
 وقد تحور نمارا فتوكل الثمرات

الى سكون طويل سنتهي الحركات
 وتنتهي فوقك ذلك الخفايا الشبهات
 ورب من لميت عيونهم تحضلات
 يردى الصديق فبني من بعده الذكر يات
 ورب ماض من العيش الى اليه التفات
 ان التفاني اليه وراءه حشرات
 ولي شبان فوك وراءه الطيبات
 فليته عاد يقسوي قاسودت الصفحات

مهما كبرت فعدى عن المنايا خشة (١)
 كأنما الموت ذئب كأنما انا شاة
 والموت ليس يقاس تحقق منه الشكاة

عند المية إن جا . ت . تنهى النكبات
وفي القبور تساوى أحبة وعداة

الشعر

لأن كثر الشعر موت والقليل الحياة
والشعر فيه وثوب والشعر فيه إناة
والشعر منه كتاب آياته ينات
والشعر منه كساء والشعر منه عراة
ومنه ما رق حتى كأنه عبرات
أما قريضي هذا فإنه نقشات
أحببت شعري فأيا . تم . لفكري ينات
به شدوت قلذت . سامعي . التفتات
وقد تهجك منه إذا . بكى . الشفات
شعري له من شعوري والصدق مستندات
وأما . صقله . الخطوب . والنكبات
تمده . كلما . غا . ض . دجلة . والفرات

جميل صدق الزهاوي

بغداد

رابطه الادب الحديث بالمشاهدة

THE NEW LITERATURE LEAGUE

مركز الرابطة - بدار المعصوم - شارع الخليج المصري ميدان الظاهر بالقاهرة

ليس سرا مكتوماً أن الحياة الادبية في مصر مصابة بمرض التخادُل المنبث في حياتها السياسية ، والعاقبة في كلتا الحالتين واحدة : وهي ضياع جهود ذات متعارضة على غير جدوى ، وتأخر النهضة الفكرية وما يترتب عليها من نهضات

وإذا تأملنا هذا المرض المزمن وجدناه للأسف راجعاً الى أسباب شخصية خلقية من ناحية ، وإلى عوامل تقليدية خاطئة من ناحية أخرى .
فأما الأسباب الشخصية الخلقية فتتلخص في أن معظم الأدباء الممتازين (بل وغير الممتازين أيضاً) في مصر يود كل منهم أن يكون الحاكم بأمره في مناحي الأدب ولا يريد أن يعترف اسوأ بأدنى حسنة ، وبعبارة أخرى أن كلاً منهم منشعب بروح الأنانية المقنونة لا الفردية المعقولة ، ويعمل ليل نهار على ما فيه مصلحته لا مصلحة الادب في ذاته ، وليت الأمر اقتصر على الأنانية وحدها بل أنه يتعداها الى عرقلة جهود الغير إن لم يستطع توجيهها الى مصلحته ، وهكذا تضيق معظم القوى الأدبية عبثاً بدل توجيهها الى خير الثقافة العامة ، كما نجنى هذه المريضة على الأخلاق أسوأ جنابة بنشر الجحود والمنطق المعكوس الذي لا معنى له سوى تحويل الحياة الأدبية الى مشاحنات ومبارزات مستمرة ، وأما العوامل التقليدية الخاطئة فأهمها تهيب الحق بجماعة الجمهور ، فبدل أن يكون الأدباء قادة له صاروا تابعين أو مجازين بحالونه ويخضعونه ليناؤوا تصفيقه .

وفي ذلك من الحياة قلمهم الفكرية والاجتماعية ما فيه. وهذا يستدعي بطبيعة الحال التشبث بالفردية وتشجيع التحزب الأعمى وتكوين أصنام يعبدها الغافلون ، وما هو إلا التهريج بعينه وتضحية الخير العام لمصلحة الأفراد البارزين ، وتلك إحدى العلل المستعصية التي نكبت بها مصر (بل الشرق العربي) طويلاً وما زالت تئن من عواقبها

فوسط هذه الظروف الأليمة كوّنت في الاسكندرية منذ عامين (رابطة الأدب الجديد) لمقاومة هذه العوامل المفسدة ولتنشر مبادئ الثقافة الحديثة على قدر ما يبلغ نفوذها ، ونحن نتمنى لهذه « الرابطة » الصالحة التوفيق المستمر ، ونرجو أن تنشأ على غرارها « روابط » أخرى في جميع عواصم القطر المصري بل وفي أهم عواصم العالم العربي ، وأن يؤدي ذلك الى تعاون أدبي قيم جليل الفوائد لشعوب الضاد جميعاً . والقاهرة بدورها تستقبل الآن تكوين (رابطة الادب الجديد) فيها لنفس الأغراض التي قامت من أجلها شقيقتها في الاسكندرية . وتتلخص مبادئ « الرابطة » في بث روح الاخاء والتعاون الأدبي — ذلك التعاون الذي يشجع نشر أحسن الآداب العصرية ، وانتقال الأدباء المغمورين الجديرين بالذكر ، ورفع مستوى الثقافة الفكرية بيننا ، وتهذيب أخلاقنا نحن الأدباء الذين ينظر إلينا الجمهور كقدوة له . ولن معنى ذلك الاخاء الأدبي بحال من الأحوال تنازل أي أديب عن شخصيته ، ولكنه يعني التنحي عن عبادة الأصنام ، والاندماج في تقدير المبادئ العالية ، والتعااضد على خدمة ألوان الجمال الأدبي ، مع الاحتفاظ الكلي بحرية الرأي والنقد . ويعني ذلك أيضاً أنه متى اتفقت الآراء على نشر رأي تهذيبي أو أدبي في الشعب تضافرت الجهود وتعاونت على تحقيقه بغير ظهور شخصي وبدون طنطنة كثيراً مانعونا مما عاها دون نتيجة حيوية ماثورة

ويبلغ عدد الأعضاء المؤسسين للرابطة ٢١ عضواً من أدباء مصر البارزين

وهم يؤلفون مجلس إدارتها ، ويجوز لمن يقتنع بصلاحيّة مبادئها ويرتاح إليها أن ينضم إليها كعضو مشترك نظير بدل اشتراك سنوي قدره ١٥ قرشاً مصرياً . وله حينئذ حق حضور اجتماعاتها الشهرية التي تعقد في يوم الخميس من كل شهر للخطابة ، كإله حق الحصول في نهاية السنة على مجموعة محاضرات « الرابطة » مطبوعة . والمرجو مرور الزمن أن تنشأ « للرابطة » أقسام دراسية متنوعة للتاريخ واللغة والشعر والفنون الجميلة الخ . على مثال الأقسام العلمية التي في نية (المجمع المصري للثقافة العلمية) أن يكونها وسينشر في « العصور » في عدد مقبل قانونها الأساسي وجميع المكاتبات توجه إلى سكرتير « الرابطة » الأستاذ كامل افندي كيلاني بدار العصور



اطلب من دار العصور للطبع والنشر

ومن جميع المكاتب المعروفة

كتاب

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

الضحية
مصر ح

وروايات وأبحاث أخرى

تأليف

طافور الشاعر الألهي المعروف

بقلم

اسماعيل مظهر

سؤال

لحضرة الاستاذ اسماعيل مظهر.

تحية ، وبعد ربما يأخذكم العجب أو يعثر عليكم الملل لو رددت كتاب من شخص لا معرفة شخصية بينه وبينكم ولا صلة الاصلة العلم . ولكن اعتياداً على علمكم الجهم وحكم الخدمة الحقيقة تجرأت على تدوير هذه السطور

لا أريد أن أقدم نفسي الآن ، ولا أنوى اظهار مبلغ رغبتى فى تبج أفكاركم ودراسة مؤلفاتكم ، فمذه ستكشفها لكم الايام ولا ضرورة لذكرها الآن . وكل ما أقصده من كتابى هذا هو ان تذكروا وتبدوا رأيكم فيما لى عسى أن تهدأ أفكارى المضطربة لتسكن من السير فى هذه الحياة على سراط مستقيم.

أكتب هذه الاسطر وقد اتيت من مطالعة كتابك ملقى السيل ، ولا أكتفك ان فصوله الأخيرة أعجبتنى أكثر من فصوله الأولى حتى انى طالعت تلك أكثر من مرة . ولكنى خرجت من الكتاب ولدى فكرة مؤادها انكم قصدتم عند كتابة كتابكم التوفيق بين الدين والعلم ، وهذه الفكرة تتجلى أيضاً فى كثير من كتاباتكم فى العصور . انكم نهجتم فيما كتبتموه طريقاً وسطاً بين جمال الدين الاقناعى زعيم المتعصبين والدكتور شمىل الناشر لمذهب بختر فى الشرق . والعفو يا سيدى ان قلت إن هذا التوفيق لا ينطبق على العلم المادى ، ولا ينتج نتيجة يحوز للانسان ان يدين بها بل يولد الشك فى العقل الانسانى والشك عما يربد فى عذاب النفس .

ان جيوش الدين مولية الادبار امام جيوش العلم ، وان الفوز سيكون طبعاً حليف العلم فلماذا لا يدين بما يأتينا به العلم وتترك ما يوحى لنا الدين ؟ ربما يخشى البعض ضياع أخلاقنا ولكن لا محل لهذا الخوف لان الخلق المتخذ من العقل خير من المتخذ من العاطفة ، أو قل ان الخلق العلمى المادى خير من الخلق الدينى ، وانه أخلاقنا اليوم آخذة فى التحول من الدين الى المادة ، ولا يسعد ان يأتينا دور نطلق به الخلق الدينى تلاماً لترى أنفسنا فى أحضان الخلق المادى .

اني أشعر انكم شاكون لا تعتقدون اعتقاداً جازماً بالدين ولا تؤمنون بالحقائق
 العلية ايماناً يجعلكم تتركون الدين جانباً قبل اننا مصيب فيما أشعر؛ هالك البرهان...
 تعتقد ياسيدى بان الاعتقاد بالله ضرورة أولية للاحتفاظ بالفة العقل الانساني،
 وباعتقادك هذا تعني ان الدين أمر ضروري لسعادة الانسان عقلياً، ولكن الالفة
 العقلية غير متوقفة على الاعتقاد بالله وبالدين لحسب وانما هي متوقفة على الاعتقاد
 بأية عقيدة سواء كانت مادية أو دينية. ولما كانت العقائد الدينية لا تتفق والعلم وانما
 هما على طرفي قيص، ولان العقل يتأثر من الحقائق العلية قبل ان يتأثر من العقائد
 الدينية، ولان سعادة الانسان المادية والمعنوية تتوقف على مقدار ما يحصله الانسان
 من المادة، لا تبقى فائدة من الاعتقاد بالله أو بالاحرى بالدين، وعلى هذا ليس من
 الضروري ان يترك الانسان الدين جاناً ليمسك باهداب المادة ؟

هذا ما عن لي أن أسطره لكم الآن فسي ان تفضلوا بإبداء رأيكم به لعل
 أصلح أفكاري ان كانت على ضلال.

المخلص

archivebeta.sakhril.com حسن أحمد السليمان

(المصور) موعدنا بالرد على هذا الكتاب في العدد القادم



ظهر الجزء الاول والثاني من

أصل الأنواع

وَنَسُوْنَهَا بِالْأَنْحَابِ الْطَبِيعِيَّةِ وَحَفِظَ الصُّبُوفِ الْغَالِبَةِ فِي النَّجَارِ عَلَى الْبَقَاءِ

فاطلبه من دار المصور ومن المكاتب الشهيرة